المؤثرات الفكرية في النهج العسكري عند ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين دراسة وتقويم

د. خالد بن إبراهيم بن عبدالله الدبيان(*)

مقدمـــة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسـنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ورضي الله عن الصحب الكـرام من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد ابتليت الأمة الإسلامية في مرحلة من مراحل نهضـتها بمنـاهج كلامية، وفلسفات يونانية، قد يؤدي الانشغال بها إلى صرف الناس عن هـدي الكتاب والسنة، وكان لهذه المناهج والطرق أسبابٌ في نشأتها وتقبل الناس لها، من أبرزها ترجمة الكتب اليونانية، والتي بدأت في خلافة المنصور في الدولـة العباسية،فهو: (أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية، وكتاب كليلة ودمنة، وكتاب إقليدس، وكتب اليونان، فنظر الناس فيها وتعلقوا بها)(١).

وقد بين ابن تيمية موقف الناس من هذه الكتب، فقال: (لما عُرِّبت الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية، وقبل ذلك، وبعد ذلك، وأخذها أهـل الكـلام، وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثيـر مـنهم... وصار الناس فيها أشتاتا: قوم يقبلونها، وقوم يجلّون ما فيها، وقوم يعرضون ما

(*) مدير قسم الثقافة الإسلامية بكلية الملك فيصل الجوية .

(١) تهذيب تاريخ الخلفاء-السيوطي-٢١٤- تهذيب : نايف العباس- دار الألباب-دمشـق- ط:١-١٩٩٠م..

فيها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق دون ما خالف، وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب، مضموماً إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة)[1].

وليست الكتب المعربة وحدها عاملاً مؤثراً في تغيير المناهج عند بعض الناس، ولكن كان لها الدور الأكبر في ذلك، ومما يزيد الأمر انحرافا أن يتولى قيادة وتوجيه عوام المسلمين أفراد ممن تأثروا بالمناهج الكلامية، والمذاهب الفلسفية، وتصدروا قيادة المسلمين (علمياً وعسكرياً).

وممن تولى هذا الأمر محمد بن عبدالله بن تومرت (المتوفى سنة ٥٢٤هـ)، الذي ولد ونشأ في بلاد المغرب، وهي البلاد التي عاشت فترة طويلة من التاريخ في إطار سني-إذا استثنينا الفكر الخارجي والشيعي والاعتزالي – وهي حركات مرتبطة بأوضاع سياسية ليس هذا مجال شرحه.

أما عموم تاريخ بلاد المغرب فكان ينعم بالمعتقد السني عقيدة، وبالمذهب المالكي فقهاً، ويقررون ما قرره إمامهم مالك بن أنس بقوله للذي سأله عن الاستواء في قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[2]. قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم (في لغة العرب)، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة)[3] .

وكان موقف علماء المغرب العربي صارماً مع أهل الكلام، فيقول ابن عبدالبر المالكي: (أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار: أن أهل الكلام

---

(١) تلبيس الجهمية- ابن تيمية- ٣٢٣/١- تصحيح محمد بن عبدالرحمن بن قاسم- ١٣٩٢هـ.

(٢) سورة طه-رقم الآية (٥).

(٣) روي هذا القول جمع غفير من أئمة الحديث وحفاظه منهم: الدارمي، في الرد على بشر المريسي العنيد-٨٣ ، والبيهقي ، في الأسماء والصفات ٥١٣.

أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والفقه فيه، ويتفاضلون في الإتقان والميز والفهم).

ويقول أيضاً: (أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويفجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها... وليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء نصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة)[1].

وموقف عامة أهل المغرب مماثل لعلمائهم، فقد وصف ابن خلدون أهل المغرب بمفارقة أهل التأويل فيقول: (كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل، وإمرار المتشابهات كما جاءت)[2].

فظهر محمد بن تومرت بدعوة جديدة، ومنهج كلامي، متأثراً بما تلقاه من علوم ومعارف أثناء طلبه للعلم في الأمصار الثلاث (مصر) و (العراق) و(الشام).

وقد كان عصره -نهاية القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري- عصر التمزق السياسي للأمة الإسلامية. فبلاد مصر وبلاد الشام تحكمها الدولة الرافضة الشيعية، التي قال عنها ابن كثير : (كان الفاطميون أنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد،

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- الحميدي-١٠١- طبع برعاية محمد زاهد الكوثري- ١٣٧١هـ- مصر.

(٢) تاريخ ابن خلدون-٦/٢٦٧- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان - ط١ - ١٤١٣هـ .

وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية وتغلب الفرنج على سواحل الشام)[١].

وأما الخلفاء العباسيون في بلاد العراق فكان التسمي باسم الخلافة رمزياً للخليفة، وأما بالنسبة لتسيير الجيوش والدعاء للخليفة وتصريف الأمور، فقد أصبح لكل إقليم وال من المسلمين، وهذا ما يسمى في التاريخ بملوك الطوائف.

ويصف ابن كثير في حوادث سنة (٣٢٤هـ) حال مقام الخلافة الإسلامية في بغداد، فيقول: (وهى أمر الخلافة جدا، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق. وخوزستان إلى أبي عبد الله البريدي،وأمر فارس إلى عماد الدولة بن بويه، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يدي محمد بن طغج، وبلاد إفريقية (تونس والمغرب) في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد،وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي)[٢].

ومن إفراز هذا العصر تلقى ابن تومرت العلم على أيدي علماء أهل الكلام أخذ كثيراً من المعتقدات المخالفة للكتاب والسنة، وسعى جاهداً لتقريرها على الأمة، مستخدماً قوة السيف واللسان في ذلك. مخالفاً في ذلك علماء مصره، ولتحقيق مراده استباح الدماء المحرمة والأعراض المصونة.

---

(١) البداية والنهاية- ابن كثير- ٢٦٧/١٢- مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية- دار هجر-الجيزة - ط١ -١٤١٩هـ .

(٢) المصدر السابق-٩٤/١٥. (بتصرف يسير) .

وقد احتوى ابن تومرت مجموعة من أبناء القبائل الجبلية البعيدة عن العلم والمعرفة، وسلك مسلك التربية والتوجيه، وادعى المهدية والعصمة لنفسه، وصنف كتباً ربى تلاميذه عليها، وأطلق مسمى على أتباعه بـ(الموحدين)، وأسس جيشاً أحكم فيه عقيدة عسكرية منظمة، وأقام معارك قتالية على الدولة السنية (المرابطين) حتى سعى إلى هدمها والقضاء عليها.

وقد قال الذهبي عن ابن تومرت: (ولم يملك شيئا من المدائن، إنما مهد الأمور، وقرر القواعد، فبغته الموت، وكانت الفتوحات والممالك لعبد المؤمن)[1] .

في هذه الدراسة سأوضح أبرز المؤثرات الفكرية على عقيدة ابن تومرت العسكرية، مستخدماً طريقة: (المنهج التاريخي) حيث كان الحديث عن السيرة الذاتية ورحلاته في طلب العلم، كما سلكت في الدراسة (المنهج الوصفي): ويراد بهذا المنهج صياغة المبادئ المؤثرة في عقيدة ابن تومرت العسكرية، وعرض ما نادى به من آراء وأفكار، مع التركيز على الجوانب العقائدية. ومنهج آخر اتبعته في هذه الدراسة وهو (المنهج النقدي أو التقويمي)، للمواقف والآراء التي تحتاج للنقد -وأرجو من الله أن أكون موضوعياً في النقد- وأثناء نقد وتقويم المواقف والآراء أستدل بما يتيسر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم أنقل أقوال علماء سلف الأمة في ذلك.

أسباب اختيار الموضوع للدراسة:

الاقتداء بسلف الأمة - رحمهم الله - في الكشف عن أصحاب البدع في المذاهب الكلامية، والمخالفات العقائدية، كما قام به الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الآجري، والإمام الدارمي، وغيرهم كثير.

---

(١) العبر في خبر من عبر-الذهبي-٢/٤٢٣-الكتب العلمية-بيروت لبنان-ط١-١٤٠٥هـ

بيان دور ابن تومرت في إقرار المذاهب الكلامية في دولة الموحدين.

التعريف بالمؤثرات الكلامية وغيرها على النهج العسكري عند ابن تومرت، ومناقشة هذه المبادئ من خلال الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح.

توضيح منهج السلف في تحكيم آراء وأقوال الرجال على الكتاب والسنة، وكما قال الإمام مالك – رحمه الله–: (لَنْ يَصلُحَ آخرُ هَذهِ الأمةِ إلاَّ بما صَلُحَ بهِ أوّلها؛ فمَا لَمْ يَكُنْ يومْئذ دينا لاَ يَكُونُ اليَوم دِينا)[١].

إضافة مباحث في العلوم العسكرية، تتناول الجوانب العقائدية في مجال الدراسات العسكرية.

مجال الدراسة:

مجال الدراسة حدد في فترة زمنية معينة، وهي فترة تأسيس دولة الموحدين ، والتي تحدد بالمرحلة التاريخية للفترة من ٥١٥–٥٥٨هـ ، وهي تعني بداية دعوة ابن تومرت التي استمرت من تاريخ ٥١٥هـ إلى وفاته التي كانت بتاريخ ٥٢٤هـ، ثم تولي عبدالمؤمن من تاريخ ٥٢٤هـ إلى وفاته سنة ٥٥٨هـ، وهي مجال دراسة النهج العسكري عند ابن تومرت، وسبب اختيار هذه المرحلة التاريخية في مجال البحث أنها مرحلة تأسيس وبناء وفتوح.

خطة البحث:

بعد التوكل الله وسؤاله العون والهداية، ثم الاطلاع على أبرز كتب تاريخ دولة الموحدين المعاصرة لها أو ما كتب عنها وعن مؤسسيها، والاطلاع على الكتب التي كتبت عن ابن تومرت، قسمت البحث إلى ما يلي:

المبحث الأول:شخصية ابن تومرت وآثاره

المطلب الأول: السيرة الذاتية لمدعي المهدية.

المطلب الثاني: الإنتاج الفكري لابن تومرت.

---

(١) الشفاء– القاضي عياض–٢/٥٣٧– عيسى لبابي الحلبي–القاهرة–١٩٧٧م.

المبحث الثاني: المؤثرات الفكرية في النهج العسكري عند ابن تومرت.

المطلب الأول: المؤثرات الفكرية في دعوة ابن تومرت.

المطلب الثاني: ابن تومرت في ميزان النقد.

* أهم نتائج البحث.

* فهرس المراجع.

* فهرس الموضوعات.

* *

المبحث الأول

شخصية محمد بن تومرت وآثاره

المطلب الأول

السيرة الذاتية لمدعي المهدية

تناول عدد من الباحثين السيرة الذاتية لمؤسس دولة الموحدين، محمد بن عبدالله بن تومرت، كما تناولوا آثاره الفكرية ، وتراثه العلمي بدراسات علمية تاريخية.

وقبل تناول المؤثرات الفكرية في العقيدة العسكرية عند ابن تومرت أُعَرِّفُ بشخصيته تعريفاً مختصراً،مبتعداً عن التفاصيل الاستطرادية التي تناقلها الإخباريون في سيرته الذاتية.

يتفق المؤرخون على أن اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، وأن ولادته كانت بمنطقة سوس، في تاريخ ينحصر بين عام (٤٦٩هـ إلى ٤٧٤هـ)[١]، وأن أسرته كانت مشهورة بالعلم والمكانة الدينية، وقال المراكشي عن أسرته:(قوم يعرفون بايسر غينن، وهم الشرفاء، بلسان المصامدة)[٢]، وهذه الأسرة تنتسب إلى قبيلة "هرغة" من قبائل مصمودة إحدى القبائل البربرية.

وقد اختلف المؤرخون في نسب ابن تومرت، هل ينتهي إلى نسب النبي ﷺ على أقوال، ويمكن إيجازها فيما يلي:

---

(١) انظر: وفيات الأعيان-ابن خلكان-٥/٤٥-دار الثقافة-بيروت-لبنان . وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية- الزركشي-٤- المطبعة العتيقة- تونس-١٩٦٦م. والكامل في التاريخ- ابن الأثير-٨/٢٩٨- الكتب العلمية- بيروت- ط٥-١٤٠٥هـ ونظم الجمان في أخبار الزمان-ابن القطان-٧٤-جامعة محمد الخامس-الرباط.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب-٤٥- عبدالواحد بن علي المراكشي-منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق ١٩٧٨). وانظر: تاريخ ابن خلدون- ابن خلدون-٦/٢٦٦

موقف يؤيد انتساب ابن تومرت إلى النبي ﷺ، ويمثل هذا القول تلميذ ابن تومرت، البيذق، ويشاركه مؤرخ دولة الموحدين ابن القطان[1].

موقف يجيز الانتساب ولا يثبته، ويمثل هذا الموقف من المؤرخين، عبدالواحد ابن علي المراكشي، ويشاركه ابن خلدون[2].

موقف يشك في انتساب ابن تومرت إلى النبي ﷺ، ولا يرتضيه في الجانب التاريخي، ويمثل هذا الموقف، الذهبي، وابن أبي زرع، وابن الخطيب، وابن العماد الحنبلي[3].

وإن مجرد النسب إليه ﷺ لا يعني الفلاح، وإنما الفلاح هو بالاتباع والسير على منهجه ، والاقتداء بسنته ﷺ، وثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة –إلى قوله ﷺ:(.. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[4].

فمن أخَّره عَمَلُه السَّيِّئ وتَفرِيطه في العمل الصَّالح لم ينفعهُ في الآخرة شرف النَّسب: أي لم يقدِّمه نسبه، ولم يحصِّل له التَّقرُّب إلى اللَّه تعالى[5] .

(١) نظم الجمان في أخبار الزمان–ابن القطان. وانظر: أخبار المهدي – (البيذق).

(٢) المعجب–المراكشي. وانظر: تاريخ ابن خلدون–٦/٢٦٦. المقدمة–ابن خلدون–١/١٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء–١٩/٥٣٩. وانظر: الأنيس المطرب –علي بن أبي زرع الفاسي– ٢١٩. وأعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام–ابن الخطيب–٢٦٦. وشذرات الذهب– ٦/١١٧. وعصر المرابطين والموحدين–محمد عبدالله عنان–٢ /١٦٠ .

(٤) صحيح مسلم–كتاب الذكر –باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن–برقم (٤٨٦٧).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود–أبادي–شرح حديث ما من رجل يسلك طريقاً– برقم:٣١٥٨

قال ابن عباس: لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا ؛ من أيّ قبيلة أنت ولا من أي نسب ، ولا يتعارفون لهول ما أذهلهم [1].

وقد قال الناظم في تعريف آل النبي ﷺ:

آل النبـي همـو أتبـاع ملتـه　　　على الشريعة من عجـم ومـن عـرب

لـو لـم يكـن آلـه إلا قرابتـه　　　صلى المصلي على الطاغي أبي لهب[2]

هذا وإن ادعاء ، ابن تومرت للنسب الشريف من النبي ﷺ، إنمـا هـو مرحلة من مراحل التأصيل العقائدي لأتباعه، للوصول إلى أنه المهدي المعلوم ثم المعصوم، وقد كان هذا الادعاء مألوفاً عند أصـحاب الـدعوات الباطنيـة، والمصالح السياسية، حيث سبقه إلـى هـذا الأمـر العبيـديون والمرينيـون والحفصيون[3].

ومنطقة السوس وهي البيئة التي ولد ، وتربى فيها ابن تومرت- بيئـة جبلية، وكان يسكنها في القرن الخامس قبائل بربرية تنتمي أغلبها إلـى قبيلـة مصمودة المعروفة بشدة البأس ، وقوة الشكيمة مع عصبية مستحكمة، ويغلـب عليهم الجفاء والغلظة في العشرة.

ومن صفات أهل السوس أنهم: (يتطلعون إلى عـالم مـن المخفيـات والمغيبات، يفسرون على أساسه كثيراً من الظواهر المادية لحياتهم والأحـداث

---

(١) الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-١٥١/١٢.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الأصول-٢٧/١- أحمد الحكمي-دار الكتب العلمية-بيروت.

(٣) انظر: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ-إبراهيم شعوط-٣٧٧. وقراءة جديـدة فـي تاريخ المغرب العربي-عبدالكريم غلاب-٢/ ١٦٧.

التي تجري بينهم، وقد عُرِفوا لذلك بتعاطيهم للعرافة والتنجيم، وادعائهم التصرف في القوى الخفية والقدرة على كشف الكنوز)(١).

ومن الثقافات العقائدية التي وجدت في منطقة السوس، المعتقدات الشيعية إلى جانب المعتقد السني ، والفقه المالكي، ويرجع وجود الشيعة بها إلى منتصف القرن الثالث، ثم تكاثروا حتى قيل في وصفهم (ومن بالسوس ونواحي درعة شيعة)، وعرفت هذه الطائفة بالبجلية، وتنسب إلى الحسن بن علي بن ورصند البجلي(٢).

ولدوام الوجود الشيعي بهذه المنطقة مدة قرنين من الزمن، فلاشك أن هذه الفرقة تركت بالمنطقة أثراً أدناه مزيد من الاطلاع على الأفكار الشيعية والتمرس بها من قبل أهل السوس، وقد تكون خلفت بعضاً من تلك الأفكار على سبيل الاعتقاد عند ابن تومرت، وهذا ما سنلاحظه في المباحث التالية إن شاء الله.

الرحلة في طلب العلم:

بدأ ابن تومرت مساره العلمي بالتردد على بعض الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم، وتفيد بعض المصادر التاريخية بأن ابن تومرت أبان عن نباهة كبيرة في تحصيله العلمي، وأحب العلم وكان شغوفا به، وتاقت نفسه إلى علوم المشرق، والجلوس إلى كبار المشايخ هناك.

ويبرر بعض المؤرخين رحلته إلى بلاد المشرق، أنه لم يرض بما عليه الحياة العلمية في بلاده، حيث كان المذهب السائد في المغرب العربي منذ القرن

---

(١) المهدي بن تومرت -عبدالمجيد النجار-٣٦-(بتصرف).

(٢) انظر :الفصل في الملل والأهواء والنحل-ابن حزم-٥/٢٣-مطبعة صبيح-القاهرة-١٩٦٤.

الخامس (فقهياً وعقائدياً) هو مذهب الإمام مالك، الذي يعتمد في التأصيل على الكتاب والسنة.

ومن أجل الوحدة المذهبية ببلاد المغرب، ذكرت المصادر التاريخية، أنه في أواخر القرن الخامس الهجري بدأ ابن تومرت رحلته في اتجاه المشرق، فبعد انطلاقه من جهة مراكش، اتجه إلى الأندلس طالبا للعلم، ثم غادرها قاصداً مدينة المهدية، ودرس على أبي عبد الله المازري(المتوفى سنة ٥٣٦هـ)، ثم حل ابن تومرت بعد ذلك بمدينة الاسكندرية ، وتلقى هناك دروساً على أبي بكر الطرطوشي (المتوفى سنة ٥٢١هـ)، وتوجه إلى أداء فريضة الحج، ثم اتجه إلى العراق، حيث لقي أبا بكر الشاشي، فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه، وعلم الكلام، كما سمع الحديث في العراق على علمائها.

وأما عن زيارة ابن تومرت إلى بلاد الشام فلم يذكرها من المؤرخين سوى المراكشي في "المعجب" في قوله: (وقيل إنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده)[١].

ومن مباحث العلوم التي تلقاها ابن تومرت في رحلته، كما قال ابن خلدون أنه: (لقي بالمشرق أئمة الأشعرية أهل السنة، وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية.. وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتّباعهم في التأويل، والأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل، وإمرار المتشابهات كما جاءت، فطعن -ابن تومرت-على أهل المغرب في ذلك، وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد)[٢].

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب-المراكشي-٤٦. وانظر: تاريخ ابن خلدون-٢٦٦/٦. وشذرات الذهب- ١١٧/٦. تاريخ المغرب العربي-سعد زغلول عبدالحميد-١٥١/٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون-٢٦٧/٦.

وتمثل هذه الرحلة التي قدم فيها ابن تومرت إلى الشرق،وبخاصة استقراره في بغداد طالبا للعلم - مرحلة في غاية من الأهمية في حياة ابن تومرت الدعوية، حيث امتدت الفترة التي قضاها ابن تومرت بالمشرق أكثر من عشر سنوات.

و(من الجائز أن يكون قد تتبع في المشرق أخبار الدعوات السرية التي أقامت دولاً مكان دول، وليس بعيداً أنه قد تعرف على أساليب وأساطير الفاطميين ، والمرابطين في تكوين المدارس لتلقين المذهب، وفي تقسيم الأتباع إلى مجموعات بحسب إخلاصهم للمذهب وقدرتهم على الاهتداء به والدعوة له)[1].

وما ذكره ابن خلدون عن ابن تومرت بالأخذ بمذهب الأشاعرة في كافة العقائد - القصد منه (طعناً دينياً) في الدولة القائمة السلفية (المرابطين) ، وقال المراكشي: (كان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم ويعادون من ظهرت عليه)[2] .

لقد قرر ابن تومرت أن يكون التغيير العقدي في المجتمع هو بداية التغيير. ولهذا حكم ابن تومرت على (المرابطين) بأنهم مجسّمه، ومشبّهة، حتى حكم بكفرهم ، واستباحة دمائهم، كما سأبينه في المباحث التالية إن شاء الله.

العودة إلى بلاد المغرب:

وبعد أن أمضى ابن تومرت رحلته العلمية لأكثر من عشر سنوات، عاد إلى بلاد الغرب حاملاً معه المشروع العقائدي الجديد لأهل المغرب عامة، ويقول المؤرخ ابن أبي زرع إن ابن تومرت كان: (عازماً على إقامة شرائع الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وكانت رحلته عن بلاد المشرق في أول يوم من ربيع

---

(١) قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي- عبدالكريم غلاب - ٢/ ١٦١.

(٢) المعجب- المراكشي- ٥٢.

الأول المبارك من عام ٥١٠هـ، فكان حيثما حل من مدن إفريقية وبلاد المغربُ يدرّس العلم، ويظهر التقشف والورع والزهد في الدنيا، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)[١] .

وفي طريق عودته إلى المغرب بدأ في نشر العلم الذي لم يعد لديه مجرد علم نظري، بل حرك فيه دواعي العمل. فبدأ مسيرته الدعوية ملتزما بمبدئه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حصلت له بسبب ذلك أحداث جسام، كان لها الأثر البالغ في مستقبل حياته، ورويت عنه أثناء عودته بعض القصص والأساطير[٢].

وما إن وصل ابن تومرت إلى قريته، حتى بدأ في مشروعه الفكري والسياسي الذي طالما رام تحقيقه. ويصف ابن خلدون عودة ابن تومرت بقوله: (وانطلق هذا الإمام راجعاً إلى المغرب بحراً منفجراً من العلم، وشهاباً وارياً (متألقاً) من الدين) [٣] وتبدأ نقطة الانطلاق في طرابلس أول بلاد المغرب مفتياً بمذهبه ذلك -الأشعري- مظهراً النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه، وأخذ نفسه بتدريس العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع).

بدأ ابن تومرت بدعوته وتأسيس بناء دولة جديدة، وكما قال ابن تيمية عنه بعد أن رجع من المشرق إنه: (صعد إلى جبال المغرب؛ إلى قوم من البربر. وغيرهم، جهال لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله، فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام، واستجاز أن يظهر لهم أنواعاً من المخاريق، ليدعوهم بها إلى الدين)[٤].

---

(١) الأنيس المطرب -علي بن أبي زرع الفاسي-٢١٩.

(٢) انظر: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين- أبوبكر الصنهاجي- البيذق - ١٨.

(٣) تاريخ ابن خلدون-٦/٢٦٧.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١١/٤٧٦.

ولم تنل مبادئ ابن تومرت تأييد فقهاء المالكية، بل أورد مجموعةٌ من كتاب التاريخ محاورات بين هؤلاء الفقهاء وبين ابن تومرت، وتمت مناصحة أمير المسلمين بضرورة حبسه، لكنَّ بعض وزرائه قال: (يقبح بالملك أن يبكي من وعظه، ثم يسيء إليه في مجلسه، وأن يظهر خوفك، وأنت سلطان، من رجل فقير، فأخذته نخوة، وصرفه)[1] .

ويستمر ابن تومرت ساعياً في دعوته، ومصطفياً من يراه صالحاً في قبول مبادئه، منتقلاً من مكان إلى مكان، ومتخذاً رسالة التعليم والوعظ وإنكار المنكر، منابر لدعوته، ومذكراً بفساد آخر الزمان، مما يدل على قرب ظهور المهدي.

ولما شعر ابن تومرت أن الأمر عند دولة المرابطين تعدى مرحلة المناظرة والمحاورة، إلى إلقاء القبض والأمر بالقتل: (خرج مسرعاً مختفياً حتى بلغ تينملل[2]، وذلك عام ٥١٤هـ، ونزل هنالك، ولحقه أصحابه العشرة .. وكثر أتباعه وعظم صيته في جبل درن، واجتمع عليه خلق عظيم)[3].

تاريخ وفاة ابن تومرت:

وبعد أن أصّل أصول دولة الموحدين، وصنف لهم دساتير يسيرون عليها، وقسم المجتمع إلى طبقات، وتولى قيادة تسع معارك ضد دولة المرابطين، وأغلب المؤرخين يجمعون على أن بداية القتال بين المرابطين

---

(١) سير أعلام النبلاء-الذهبي- ٥٣٩/١٩.

(٢) تينملل: (قرية صغيرة في بلاد السوس يسكنها البربر، تقع في رأس جبل)معجم البلدان- ٦٩/٢.

(٣) الأنيس المطرب-علي بن أبي زرع الفاسي-٢٢٧.

والموحدين كان في سنة ٥١٦هـ، أما نهاية الغزوات التسع فلم يحدد تاريخها.[١]

وبعام ٥٢٤هـ مرض ابن تومرت، وكان الموحدون بقيادة عبدالمؤمن بن علي ، الشخصية العسكرية الأولى عند ابن تومرت - قائداً للجيوش[٢] في معركة (البحيرة) التي كانت متجهة لمحاصرة (مراكش) عاصمة دولة المرابطين، وتمت هزيمة الموحدين وقتل أغلب جيشهم فيها، وقال الذهبي: (واستحر بهم القتل ، ولم ينج منهم إلا نحو من أربعمائة مقاتل)[٣]، وعلم ابن تومرت بالهزيمة واشتد عليه المرض.

قال أبوبكر الصنهاجي-البيذق-: (توفي يوم الأربعاء وقيل يوم الخميس.. عام ٥٢٤ هـ، وبويع الخليفة يوم السبت الأقرب من هذا التاريخ)[٤].

* *

---

(١) انظر: قيام دولة الموحدين -مراجع عقيلة الغناى-٢٤٨.

(٢) انظر: المعجب-المراكشي-٦٤.

(٣) سير أعلام النبلاء-الذهبي-٣٦٦/٢٠.

(٤) انظر: أخبار المهدي-أبوبكر الصنهاجي (البيذق)-٨٣

المطلب الثاني

الإنتاج الفكري لابن تومرت

يتزامن عند أصحاب الدعوات: التربية العقلية (الفكر)، والتربية القتالية (البدن)، فمن هذا المنطلق كان لابن تومرت إنتاج فكري، لأنه صاحب دعوة ذات مضمون عقدي وشرعي، وقد حرص على تبليغ ذلك المضمون والإقناع به بطريقتين:

أ- طريقة التدريس المباشر، وإلقاء الخطب والمواعظ الشفاهية.

ب- طريقة تصنيف الكتب ، وإنشاء الرسائل.

ومن خلال دراسة سيرة ابن تومرت العلمية، وقبل الحديث عن المؤثرات الفكرية في العقيدة العسكرية عند ابن تومرت، نوجز في هذا المبحث أبرز مؤلفاته الفكرية التي أصلت عقيدته العسكرية في أتباعه.

وهذه المباحث الفكرية هي مجموعة من الرسائل السياسية ، والخطب الوعظية، حفظتها لنا كتب التراجم والتاريخ على الأخص.

وقد ذكر المؤرخون أن لابن تومرت كتابين يتعلقان برواية الحديث ، وهما:

الكتاب الأول: محاذي الموطأ[1]: وهو كتاب اختصر فيه ابن تومرت موطأ الإمام مالك، واقتصر على الراوي الأخير للحديث بعد حذف بقية السند،

---

(١) المعروف من النسخ المخطوطة لهذا الكتاب أربع نسخ، وهي: ١) نسخة قديمة بالجزائر، وقع نشرها من قبل قولدزيهر بالجزائر سنة ١٩٠٥م وتحمل عنوان (موطأ الإمام المهدي). ٢) ونسخة بخزانة القرويين بمدينة فاس رقم ٤٠/١٨١، وهي تحمل عنوان (محاذي الموطأ) وهي نسخة جميلة من حيث الشكل والتجليد. ٣) ونسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ١٢٢٢، وتحمل عنوان (موطأ الإمام المهدي). ٤) ونسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ٨٤٠ج، وهي تحمل عنوان (موطأ ابن تومرت).

وهو ثابت النسبة إلى ابن تومرت حيث يحمل في أوله السند كاملاً من عبدالمؤمن الذي أملاه إلى مالك ابن أنس.

الكتاب الثاني: مختصر صحيح مسلم(١)، وقد أملاه على تلاميذه، بعد حذف الأسانيد.

وأما الرسائل التي تحوى كثيراً من القضايا الأساسية التي دعا إليها ابن تومرت، فمنها:

١. كتب ورسائل مجموعة في سِفْر واحد، وهو السفر الذي اشتهر باسم (أعز ما يطلب) ومن مفردات بعض مصادره: كتاب الإمامة: بحث في قضية الإمامة(٢) وأحكامها ومسائلها مثل المهدية والعصمة.

٢. المرشدة(٣) وهي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة خال من البراهين، وهي جارية على منهج الأشاعرة ورد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية(٤). وقال الذهبي عن تأثير هذه الرسالة: (حمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبذ من خالف المرشدة بالتجسيم، وأباح دمه)(٥) .

---

(١) والمعروف منه نسخة فريدة بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم ٤٠٣، تشتمل على ٤٠٥ صفحة.

(٢) انظر: الإمامة عند ابن تومرت- دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية- علي الإدريسي-الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية- ١٩٨٧م.

(٣) انظر: شرح مرشدة محمد بن تومرت- محمد السكوتي- بيروت- دار الغرب الإسلامي-١٩٩٣م.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٤٧٦/١١.

(٥) سير أعلام النبلاء-٥٣٩/١٩.

٣. رسائل عن التوحيد:(١) والذي هو أساس دعوة الموحدين، فمن ذلك رسالة في توحيد الباري، ورسالة في أن التوحيد أساس الدين،وكتاب في التوحيد باللسان البربري، كما قال ابن القطان: (وأول ما دبرهم به المهدي أنه ألف لهم كتاب التوحيد باللسان البربري ، وهو سبعة أحزاب، وهو كتاب تعليمي يُرَبِّي عليه المهدي أصحابه، وربما اشتمل على تعاليم أخرى في التشريع والأخلاق)(٢).

٤. رسائل تتضمن الجهاد ، وقتال المرابطين: حيث قرر ابن تومرت على الأتباع أن المرابطين كفار، وقال: (إن طاعتهم حرام ؛ لأنهم كفار ، ومنافقون ومتبعو الهوى ، ومعتدون ، ومفسدون ، وجاهلون، قال تعالى في تحريم طاعة الكافرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ ﴾(٣). وقال سبحانه في تحريم طاعة المنافقين: ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٤). وقال في تحريم طاعة من اتبع هواه: ﴿ ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (٥). واستدل على وجوب قتالهم بقوله﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ

---

(١) جميع الرسائل التالية متضمنة في سفر (أعز ما يطلب) وقد طبع هذا الكتاب المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة ١٩٨٥-تحقيق وتقديم عمار الطلبي. والمعروف عن هذا السفر وبما يحتويه من رسائل مخطوطتان: ١) مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٤٥١، وهي مؤرخة بشبعان سنة ٥٧٩هـ ٢) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم ق ١٢١٤ تاريخ نسخها سنة ٥٩٥هـ.

(٢) نظم الجمان-ابن القطان-١٢٩.

(٣) سورة آل عمران-آية رقم (١٤٩).

(٤) سورة الأحزاب-آية رقم (١).

(٥) سورة الكهف-آية رقم (٢٨).

وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1].. إلى غير ذلك من الأدلة التي يراها تؤيد مذهبه[2]. وبعد تقرير تكفير المخالفين، وإلزامية جهادهم ألف للموحدين، رسائل تتناول موضوع الجهاد، فمنها:

أ- **رسالة الجهاد:** هو بحث في أحكام الجهاد ، والحض عليه.

ب- **الغلول:** وهو مبحث في أحكام الغلول ، والتحذير منه.

ج- **رسالة بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين:** تشتمل على مجموعة من الأحاديث في أهل الباطل ، ووجوب جهادهم ، مخرجة على أن المقصود بها المرابطون.

د- **رسالة في غربة الإسلام والبشارة بانتصار الحق على الباطل:** تشتمل على مجموعة من الأحاديث في هذا المعنى.

ه- **الرسالة المنظمة:** رسالة كتبها إلى أتباعه الذين سماهم (بجماعة أهل التوحيد) وفيها حث على الجهاد، وبيان لأخطاء المرابطين في العقيدة والسلوك.

و- **رسالة إلى الفئة الباغية:** فيها خطاب إلى المرابطين ، وأتباعهم من القبائل، وتشتمل على تهديد ووعيد[3].

وتحتوي هذه الرسائل على مبادئ الدعوة المهدوية في دولة الموحدين، والأسس والقواعد التي قامت عليها. وكان لابن تومرت توجيهات نقلها تلاميذه ومصنفو سيرته وأخباره، فمن هذه التوجيهات:

١-خطبة إعلان المهدية لنفسه:

حينما كان في منعة من قومه ، وأتباعه وقف خطيباً فيهم، ومما قال: (الحمدلله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه..

(١) سورة التوبة- آية رقم (١٢٣).
(٢) انظر: نظم الجمان-ابن القطان-٩٨.
(٣) انظر: المهدي بن تومرت -عبدالمجيد النجار-١٤٥-١٥٧.

وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يبعثه الله لنسخ الباطل بالحق، وأن يملي مكان الجور العدل، والمغرب الأقصى منبته ومكانه، وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم للنبي ﷺ، والنسب نسب ﷺ، والفعل الفعل.. وقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان..)[١].

تعتبر هذه الخطبة مهمة في موضوعها، ففيها إعلان المهدية لابن تومرت، وأن مواصفات المهدي المنتظر متحققة فيه، وعن أثرها على أتباعه، قال ابن القطان: ((فكل هذه مما جاء به الإمام المهدي مما يشهد بصدق ما أتى به، وسعة علمه وعصمته، فكل هذه العلامات التي ناطها بالقوم الذين تولى تغيير ما أتوا به، دالة على أشراط الساعة، وأنه هو الإمام المهدي المنتظر الموعود، وهذا أمر قد وضح بيانه، وصح برهانه وسطع ضياؤه، وارتفع سناؤه))[٢].

لم يتورع ابن تومرت بالكذب على رسول ﷺ حينما حدد مكان خروج المهدي فقال ((والمغرب الأقصى منبته ومكانه)) وبتتبع الأحاديث الواردة في المهدي[٣] لم أجد هذه الزيادة المدرجة، فمن استهان بالكذب على رسول الله ﷺ فلا يستحق الإمامة ولا المهدية.

٢--الزامات تعبدية:

من توجيهات ابن تومرت لأتباعه أنه أمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا (أصبح والحمدلله) إشعاراً -كما زعموا- بأن الفجر قد طلع لإلزام الطاعة، ولحضور الجماعة، وللغدو لكل ما يؤمرون به[٤].

---

(١) نظم الجمان-ابن القطان-١٢٤.

(٢) المصدر السابق-١٠٠.

(٣) انظر: المهدي-محمد أحمد إسماعيل المقدم-٣٣.

(٤) انظر: الاعتصام- الشاطبي-٢/٩٢. ونظم الجمان-ابن القطان-١٦٨.

وفي أثناء الحروب والسفر الزم ابن تومرت أتباعه الحركة كيف تكون، (فأمرهم إذا عزموا على الركوب أن ينادي مناد: الاستخارة بالله والتوكل عليه.. وأوصاهم في سفرهم إذا مروا على طريق متصل بها زروع نكبوا عنه (اعتزلوه)، ودرأوا أهل الفساد عنه)[1].

ويستمر مبدأ الإلزام بالجوانب التعبدية عند الموحدين، فنجد عبدالمؤمن ابن علي أثناء الحروب: (إذا نزلوا فأول شيء يصنعونه في أول النهار بعد صلاتهم الفجر، أن يخرج من ينادي (الاستعانة بالله والتوكل عليه) هذه عندهم للركوب ، فحينئذ يركب الناس ، ويخرج الخليفة من خيمته راكباً ، وأعيان القرابة وأشياخ الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب، فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ من الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرؤون حزباً من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون رفيقاً، ثم شيئاً من الحديث ، ثم يقرؤون تواليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي)[2].

يتلازم في النهج العسكري عند ابن تومرت الالزام في التنظيم العسكري، والالزام في تلقين المنهج الفكري، والتأصيل العقدي.

٣-التربية على إزالة المنكر باليد:

جاءت الشريعة بالحث على تغيير المنكر، وبينت السنة الصحيحة طرق تغييره ، كما في حديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[3].

(١) نظم الجمان-ابن القطان-١٦٨.

(٢) المعجب-المراكشي-٢٥٦.

(٣) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان-برقم (٧٠).

وقد بين العلماء -رحمهم الله- مباحث إنكار المنكر وضوابطه، وأما ابن تومرت فلم يأخذ بالتوجيه النبوي، بل ربى أتباعه على مبدأ الإنكار باليد، تهيأة لمرحلة أكبر، وهي الخروج على دولة المرابطين، ويسميه (الجهاد)، ومن أمثلة تغيير المنكر باليد ما ذكر تلميذه البيذق، عنه: حينما دخل مدينة فاس دخل علينا المعصوم وقال أين الصبيان؟ فقلنا: ها نحن حاضرون، قال: ما منكم أحد غائب؟ قلنا: كلنا حاضر، فقال المعصوم: اخرجوا واقطعوا مقارع من شجر التين الذي أسفل الوادي الذي لا ينتفع به، وأقبلوا بسرعة.. فقال لنا: ..أخفوا مقارعكم، وسرنا معه وما علمنا أين يتوجه، حتى وصلنا زقاق زقاق، قال لنا: تفرقوا على الحوانيت ، وكانت الحوانيت مملوءة دفوفاً وقراقر ومزامير وعيداناً .. وجميع اللهو، فقال لنا المعصوم: اكسروا ما وجدتم من اللهو..)[1].

إن إنكار المنكر باليد هو من منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما أخبر الله عن إبراهيم ﷺ، بقوله ﴿ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [2].

وثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) وفي رواية (ولا صورة إلا طمستها)[3].

فمن هذه النصوص وغيرها الدالة عليها يظهر أن إنكار المنكر باليد مبدأ شرعي، وهناك فرق بين (الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر) الذي فيه الخيرية لهذه الأمة، وبين (التغيير) كما في حديث (فليغيره بيده).

---

(١) أخبار المهدي-البيذق-٢٣. وانظر: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين-٩٦.

(٢) سورة الأنبياء-آية (٥٧-٥٨).

(٣) صحيح مسلم-كتاب الجنائز-باب الأمر بتسوية القبر-برقم (١٦٠٩).

فقد قال العلماء: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من فروض الكفاية، لكن تغيير المنكر باليد فهي لمن له سلطة من ولي أمر المسلمين، أو له ولاية على صاحب المنكر[١].

ولكن منهجية ابن تومرت في إنكار المنكر باليد تنطلق من مبادئ العصمة، وتكفير دولة المرابطين، والتأكيد على إلزام أوامر المهدي، كما قرر عند دولة الموحدين أن (الانقياد لما يقضي به ابن تومرت واجب والاستمساك بأمره حتم، والرجوع إليه في أمر الدين والدنيا فرض لأن قضاءه وأمره هو قضاء ربه وأمره وإرادته وحكمه)[٢]، فبهذه المنهجية تختلف الحال في إنكار المنكر.

وقد أراد ابن تومرت في إنكار المنكر باليد، أن يكون لديه مجموعة من الأتباع، المعجبين بمنهجه ، وذلك ليكونوا دعاة إلى أفكاره ومبادئه، وقد نجح في ذلك حيث يذكر البيذق-تلميذه- أنه كان لابن تومرت بمصر واحد وخمسون رجلاً من أهلها، وكانوا له مثل أعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لأمره)[٣].

٤-مفاهيم خاطئة في العقيدة والتوكل والقدر:

من الإنتاج الفكري الوارد في كتب ابن تومرت، أنه يعلم أتباعه مفاهيم خاطئة في التوكل والقدر، وقد قال ابن تيمية: (وصاحب المرشدة لقب أصحابه (موحدين)، اتباعا لهؤلاء -الفلاسفة-الذين ابتدعوا توحيدا ما أنزل الله به من

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن-٤/٤٨-القرطبي. وتفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن-الثعالبي-١/٢٣٤. والتحرير والتنوير-ابن عاشور-٣/١٨١. وأحكام القرآن-١/٢٩٣-ابن العربي. وشرح النووي على صحيح مسلم-٢/٢٢. مجموع فتاوى ابن تيمية-٤/١١٨.

(٢) مجموعة رسائل موحدية -لافي بروفانصال-١٣٤.

(٣) أخبار المهدي ابن تومرت-البيذق-٣٢.

سلطان ، وألحدوا في التوحيد الذي أنزل الله به القرآن، فمن بدعهم، قول ابن تومرت: (إن الله قادر على ما يشاء) وهذا يوافق قول الفلاسفة.. والمتكلمين الذين يقولون : إنه لا يقدر على غير ما فعل.

ومذهب المسلمين أن الله على كل شيء قدير: سواء شاءه أو لم يشأه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [1]. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم} قال: أعوذ بوجهك {أو من تحت أرجلكم} قال: أعوذ بوجهك {أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض} قال: هاتان أهون)[2].

وبهذا الاعتقاد عند المسلم يعظم الاعتماد والتوكل على الله، مع بذل الأسباب، لأن قدرة الخالق شاملة، وأمره نافذ سواء شاء أو لم يشأه، وهو العليم الحكيم، فقدره لحكمة وعلم. قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [3].

وقال البيذق تلميذ ابن تومرت: (إن الإمام لما كان عند وفاته ولقائه لربه، قال لأصحابه: اسألوني عما بدا لكم من أمر دينكم ودنياكم، فإني غداً إن شاء الله أجتمع مع ربي!!، فتقدم إليه الخليفة مع أهل الجماعة، فقالوا: نسألك عن الرزق؟ قال لهم: ما عسى أن أقول في أمر مقسوم مفروغ منه؟ فقالوا له: أفنطلبه؟ فقال: إن كنتم تعلمون له موضعاً فالتمسوه فيه، فقالوا له أفنسأل الله فيه؟ فقال لهم: إن كنتم تعلمون أنه ينساكم فذكروه؟ فقالوا له: أفنتوكل على الله؟

---

(١) سورة الأنعام–آية (٦٥).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية–٤٧٦/١١.

(٣) سورة الحجر–آية رقم (٢١).

فقال لهم: إن التوكل في الحقيقة هو الشك، فقالوا له فما الحيلة؟ فقال لهم: ترك الحيلة والتسليم إلى ما قسمه الله..)[١].

وإذا كانت هذه المخالفات في العقيدة قد أوصى بها ابن تومرت أتباعه عند موته فكيف بتقريراته أثناء حياته وقتاله؟! وكيف يكون التوكل (شكاً) وقد ذكر الله من صفات المؤمنين (وعلى ربهم يتوكلون) ومعناه: (لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: (التوكل على الله جماع الإيمان)[٢].

وهذا التوكل في الجانب القلبي، فلا يميل القلب إلا إليه سبحانه وتعالى، وأما ما يتعلق بفعل الأسباب ، وعمل البدن، فقد أمر الله مريم رحمها الله بقوله (وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ) فمن هذه الآية أخذ بعض العلماء (أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعاً، وأنه لا ينافي التوكل على الله جل وعلا. وهذا أمر كالمعلوم من الدين بالضرورة، أن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا - أمر مأمور به شرعا لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه ، مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر. ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف)[٣].

---

(١) أخبار المهدي-أبوبكر الصنهاجي-البيذق--٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير -٣/٥٥٢.

(٣) أضواء البيان-الشنقيطي-٤/٢٥٠.

إن تعلق العبد بخالقه، ومعرفة قدرته ومشيئته، وفعل الأسباب المادية وبذل الجهد في ذلك، يكتمل البناء العقدي في نفس المؤمن لعباده التوكل على الله.

٥-الغلو في ابن تومرت ومبادئه:

من الإنتاج الفكري في تراجم وكتب ابن تومرت، نجد الغلو في ابن تومرت ومبادئه، ومن المعلوم أن من عقيدة التوحيد تحريم الغلو في الأشخاص (.. فكل من غلا في حي؛ أو في رجل صالح ..أو فيمن يعتقد فيه الصلاح.. وجعل فيه نوعاً من الإلهية أو التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل. فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلها آخر) (١).

وليس من لوازم الغلو في المخلوقات الاعتقاد بأنها تملك قدراً من صفات الربوبية، من خلق أو إنزال رزق ، أو غير ذلك، وإنما زلت الأقدام في الغلو بالمخلوقات لجعلهم وسائط وشفعاء عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (٢).

وقد نقل البيذق تلميذ ابن تومرت ورفيقه في سفره وترحاله - بعض المواقف التي تدل على الغلو بابن تومرت، وربما كاشف أصحابه ، ووعدهم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية-٣/٣٩٥.

(٢) سورة الزمر-آية رقم (٣).

بأمور فتوافق، فيفتتون به، ولم يكن ينهاهم بما يصدر منهم، بل من أراد أن يخرج عن مبادئ ابن تومرت فإن حكمه القتل كما وقع من أمير كنفيسة[١].

ومن أمثلة الغلو ما نجده أيضاً عند الخليفة عبدالمؤمن، التلميذ المقرب عند ابن تومرت، والموجه الأول للتوجيهات التومرتيه، والقائد العسكري، والخليفة الأول للموحدين، فقد نسب انتصارات الموحدين إلى الاعتقاد بمهدية ابن تومرت، فيقول: (هذه الفتوح العميمة العامة الشاملة على من أخذ بهذا الأمر العزيز ، ودان وتزيا بحلته البهية فازدان - فهي الفتوح التي ظهرت بها من آيات المهدي العجب العجاب، ودرّت بها الأرزاق وانتشر الأمن وكرم المآب) ومن غلوهم بابن تومرت أن بهدايته انفرجت أزمات الأمر وعسرته[٢].

وأكد عبدالمؤمن للموحدين على وجوب (التمسك بأمر المهدي فهو سبب النجاة والخلاص، والمأمن من نوائب الانتكاس والانتقاص، والموعود بالظهور والاستيلاء والانتقام من عداته والاقتصاص.. والواجب عليكم وعلى جميع عمرة البسيطة إتيان هذا الأمر العزيز في محل قيامه، والهجرة إليه وقت ظهور دلائله وارتفاع أعلامه، وهجر الأوطان والقطان لطلب الرضوان به واغتنامه، فكيف به وقد أظلتكم في عقر دياركم رايته، وتجلت بين أظهركم آيته، وتأكدت في الوجوب عليكم واللزوم لكم ولايته وولايته)[٣].

بهذه المفاهيم العقائدية، من الكتب والرسائل والتوجيهات، قام المنهج العسكري عند ابن تومرت ، وخليفته عبدالمؤمن بن علي، وتولت دولة الموحدين نصرة ومناصرة مبادئ ابن تومرت، لمدة دامت قرابة قرن ونصف من الزمان.

---

(١) انظر: أخبار المهدي ابن تومرت- ١٨ وما بعدها.

(٢) مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية- لافي بروفانصال-٢-٨- مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية-رباط الفتح-١٩٤١.

(٣) مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية-لافي بروفانصال-١٦.و ١٩.

المبحث الثاني

المؤثرات الفكرية في عقيدة ابن تومرت العسكرية

المطلب الأول

المؤثرات الفكرية في دعوة ابن تومرت

في الدراسة السابقة عن سيرة ابن تومرت العلمية، وبيان نتاجه الفكري، يظهر على مبادئه وأفكاره بعض المؤثرات الفكرية، ولاعتباره مؤسس دولة الموحدين عقائدياً فقد امتد التأثير عليها.

ويلاحظ أن انتقال ابن تومرت ورحلاته العلمية، في مناطق كانت تموج بكثير من الأفكار والمعتقدات التي قد تكون من أبرز المؤثرات على أفكاره.

وينقسم تأثير المناطق العلمية على ابن تومرت إلى قسمين:

القسم الأول بلاد مصر:

ففي مصر ألغيت فيها الخلافة العباسيه، وحدث الدولة الحاكمة هي الدولة العبيدية وهي رافضية، وأصلها هو عبيدالله وتسمى بالمهدي بأرض المغرب ، وبَنَى المهدية وتنسب إليه، وكان زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام ، متظاهراً بالتشيع متستراً به، حريصاً على إزالة الملة الإسلامية، وقتل من الفقهاء والمحدِّثين والصالحين جماعة كثيرة. ونشأت ذريته على ذلك منطوين، يجهرون بالتشيع إذا أمكنتهم الفرصة وإلا أسرُّوه، والدعاة منبثون في البلاد، يضلون من أمكنهم إضلاله من العباد، وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها، وذلك سنة ٢٩٩هـ إلى سنة ٥٦٧هـ(١).

---

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين-أبو شامة- ٢/ ١٣٩-١٤٠-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ. وانظر: البداية والنهاية-ابن كثير-١٥/٥٣٧.

وقد تزامنت رحلة ابن تومرت إلى مصر وبداية دعوته مع ولاية الآمر بأحكام الله، منصور بن المستعلي أحمد بن المستنصر الرافضي، وقد قال لسان الدين ابن الخطيب عن ابن تومرت: ووافقت أيامه في الناس لدولة المسترشد العباسي[١]

وقد وُصِفَ هذا الخليفةُ بأنه: (كان متظاهراً بالمكر واللهو والجبروت. ولي وهو صغير، فلما كبر قتل أمير الجيوش، كان خبيث المعتقد، سفاكا للدماء، متمردا جبارا فاحشا فاسقا، صادر الخلق. عاش خمسا وثلاثين سنة، وانقلع في ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمس مائة، وفي عصره أخذت الفرنج طرابلس الشام وصيدا، ثم قصد الملك بردويل الفرنجي ديار مصر، وأخذ الفرما فأحرق جامعها ومساجدها،وقتل وأسر..)[٢].

في هذا المجتمع عاش وتعلم ابن تومرت، وأخذ العلم ، ولا يمنع من أن يكون قد اعتنق مبدأ الاعتقاد في الإمام المعصوم هناك[٣].

القسم الثاني : بلاد الشام والعراق:

تعد فترة تلقي ابن تومرت العلم فيهما من أعلى فترات انتشار علم الكلام، وتأسيس المدارس الكلامية فيهما ومن أبرزها (النظامية)[٤]، ولهذا قال ابن خلدون: (لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم واستحسن

---

(١) شرح رقم الحلل في نظم الدول-لسان الدين ابن الخطيب-١٨٩ - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية- دمشق- ١٩٩٠م.

(٢) سير أعلام النبلاء-الذهبي-١٩٧/١٥. (بتصرف)

(٣) انظر: تاريخ المغرب العربي-سعد زغلول عبدالحميد- ١٦٠.

(٤) انظر: عيون التواريخ-محمد شاكر الكتبي-٤٦/١٢. هي أول مدرسة قرّر بها للفقهاء معاليم،وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك الحسن بن عليّ الطوسيّ، وزير ملك شاه بن ألب أرسلان في مدينة بغداد،وشرع في بنائها في سنة ٤٥٧هـ، وفرغت في ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ .

طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية..فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد)[١].

هذا عن رحلاته وأما عن المؤثرات الفكرية على ابن تومرت، فمن أبرزها:

أولاً : الاتجاه السني:

ويمثل هذا الاتجاه دولة المرابطين، التي على أنقاضها قامت دولة الموحدين، ومن أبرز مآثر المرابطين استمرار الارتباط لمقام الخلافة، حيث الخطبة العباسيّة بممالكها، ولم تنقطع إلا بموت تاشفين بن علي (ت ٥٤٠هـ)، فيقول مؤرخ دولة الموحدين منصفاً للمرابطين هذا الموقف: (انقطعت الدعوة بالمغرب لبني العباس بموت أمير المسلمين وابنه فلم يذكروا على منبر من منابرها إلى الآن)[٢].

ومن مآثر المرابطين جهادهم ضد النصارى في الأندلس،والانتصار عليهم في معركة الزلاقة[٣] بقيادة يوسف بن تاشفين.

ومن أهم المظاهر السنية لدولة المرابطين نبذ المناهج الكلامية، والاقتصار على المنهج السلفي، ومن أبرز ما وصف به علي بن تاشفين (ت٥٣٧هـ)، أمير المرابطين، إضافة إلى شجاعته وعدله (كان معظما للعلماء، مشاورا لهم.. وأهينت الفلسفة، ومج الكلام، ومقت)[٤].

ومن خلال الرسالة الوثائقية التالية نلحظ دور الدولة السنية في حفظ الدين، والاقتصار على ما ذهب إليه السلف، وهي رسالة وثائقية من أمير

---

(١) تاريخ ابن خلدون-٢٦٧/٦. وانظر: أيعيد التاريخ نفسه؟-محمد العبدة-٥٠-أضواء البيان-الرياض-الطبعة الثالثة-١٤١٩هـ.

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب -المراكشي-٢٧٢.

(٣) انظر عن معركة الزلاقة: الكامل في التاريخ-ابن الأثير-١٤١/٨.

(٤) سير أعلام النبلاء-الذهبي-١٢٤/٢٠.

المسلمين علي بن تاشفين إلى مجموعة من القضاة والعلماء والوزراء، ومما جاء فيها: (إن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدو- على ما اتفق عليه السلف الصالح، رحمهم الله من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبدالله مالك بن أنس.. ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة .. فليتتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها.. وكذلك نؤكد عليكم أتم تأكيد أمر أهل الذمة ألا يتصرف أحد منهم في أمور المسلمين، لأنه فساد الدين)[١].

لقد اقتصرت دولة المرابطين على المنهج السلفي، الذي يرفض تدخل العقل في مسائل الاعتقاد ؛ لأنه ليس هناك قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم -أهل الكلام-من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله . فيا ليت شعري: بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ وقد قال الإمام مالك ابن أنس: (أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء)[٢].

وتبنت دولة المرابطين فقه مالك الذي يُعَدُّ : (من أعلم الناس بحقوق رسول الله ﷺ وبالسنة التي عليها أهل مدينته من الصحابة والتابعين وتابعيهم)[٣] وكان يكره ما أحدث من الكلام . وقال: (من طلب الدين بالكلام تزندق)[٤].

وتناقلت كتب السلف - رحمهم الله- النهي عن الخوض في مسائل الصفات، وقد قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: (إن الله فوق

---

(١) نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين-حسين مؤنس-١٧-٢١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٥/٢٩.

(٣) المرجع السابق-١٨/٣٤٢.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- ١٦/٤٧٠. (بتصرف يسير)

عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته) وقال أحمد بن حنبل: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث).

وقال الشافعي في خطبة الرسالة: (الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه) [١].

إن ابن تومرت نشأ في ظل دولة المرابطين، ولم يستطع أن يقاوم هذا التيار السلفي لدى دولة المرابطين، إلا برفع مبدأ المهدية وعصمة الإمام، وأصدر الأحكام الجائرة عليهم، وقال عنهم: (أمر رسول الله ﷺ بمخالفة أهل الباطل في زيهم وأفعالهم وجميع أمورهم في أخبار كثيرة، قال: خالفوا اليهود، خالفوا المشركين، خالفوا المجوس، وكذلك خالفوا المجسمين الكفار... والتشبه بهم حرام)[٢].

وقد أبطل ابن تيمية وصف المرابطين بالمجسمة، فقال: (زعم أنهم مشبهة مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم) [٣].

ولم يقف ابن تومرت عند مبدأ المخالفة بل أمر بقتالهم وغزوهم، وقرر بأنه واجب على كل من يعلم أن الله تعالى واحد في ملكه، أوجب من غزو الروم والمجوس[٤]، وعن حكم قتلى المعارك، قال: (كل من قُتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد، وكل من قُتل من المؤمنين

---

(١) الرسالة-الإمام الشافعي-٨-تحقيق أحمد شاكر-دار الكتب المصرية-١٣٥٨هـ

(٢) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٢٦٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١١/٤٧٦.

(٤) الأنيس المطرب -علي بن أبي زرع الفاسي-٢٢٣.

فهو من أهل الجنة، لقول رسول الله ﷺ: ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد)[١].

ثانياً : الاتجاه الخارجي:

هذا الاتجاه الثاني من الاتجاهات الفكرية المؤثرة في دعوة ابن تومرت، وقد قام الفكر الخارجي على أكتاف المغاربة البربر، ولكنه كان وافداً من بلاد الشرق، فقد رحل (الصفرية والإباضية) إلى المغرب ، فمنهم من أوغل في الجنوب، وأسسوا لهم إمارة، ومنهم من سكن طرابلس[٢]، وقد يكون هذا التواجد من تاريخ (١٤٠-٢٩٧هـ) ويمثل دولتي (المدراريين والرستميين).

وقد استمر هذا الفكر الخارجي يحكم المغرب حتى قضى عليهما العبيديون. ولا يعني سقوط الدولة سقوط الفكر والمبادئ. إذ استمر الفكر الخارجي بعد ذلك. ومن خلال تتبع مبادئ ابن تومرت نجد آثار الفكر الخارجي على مبادئه، ومن أهم هذه الآثار ما يلي:

١-تكفير المرابطين:

من أصول أهل السنة أنهم: (لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج ؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص:{فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف}[٣]. وقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن

---

(١) وثائق موحدية -٢. والحديث أخرجه الترمذي في السنن- برقم (١٣٤١) وقال: حسن صحيح.

(٢) قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي-عبدالكريم غلاب-١/٢٦٥-٢٧٩. وانظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-أحمد جلي-٥٩. والإباضية بين الفرق الإسلامية-علي يحي معمر-٩٢. وإعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين-علي الصلابي-١٩.

(٣) سورة البقرة- آية رقم (١٧٨).

بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين}[١][٢] .

فمن أبرز ما يتميز به الفكر الخارجي تكفير أصحاب الذنوب والمعاصي ، ولتأثر ابن تومرت بالفكر الخارجي ألف رسالة في (بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم)[٣] ونسبهم إلى الكفر بسبب تجسيمهم واقترافهم المظالم في حق الرعية، وهو ما يبدو في قوله: (باب فيما أحدثوه من المناكر والمغارم وتقلبهم في السحت والحرام يأكلون فيه ويشربون، وفيه يغدون وفيه يروحون، وتجسيمهم وكفرهم أكبر..).

ويستمر المنهج التكفيري لأصحاب المعاصي عند ابن تومرت، فيقرر بأن الولاة من المرابطين كفار، بسبب أنهم: (أباحوا أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ أموال اليتامى والأرامل، وتمالأوا كلهم على ذلك، وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت)[٤].

ولم يقتصر حكم التكفير على الولاة فقط، بل تعداه على الخارجين عن طاعته، فمن أحكامه أن: (من لا يحفظ هذا التوحيد (الذي كتبه لهم) فليس بمؤمن، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته)[٥].

لقد تبنى ابن تومرت منهجاً في التربية والتلقين يقوم على الشدة والغلظة، فمن توجيهاته: (أن كل من تهاون في الطاعة لأوامره أو خرج عنها قتل، ومن لم يحفظ حزبه أو درسه ضرب بالسياط، وإن تمادى في ذلك قتل.

---

(١) سورة الحجرات- آية رقم (٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٣/١٥١

(٣) رسالة ضمن سفر: أعز ما يطلب-ابن تومرت.

(٤) الرسالة المنظمة، ضمن سفر: أعز ما يطلب-١٠٦-ابن تومرت

(٥) الأنيس المطرب-علي بن أبي زرع الفاسي-٢٢٧.

ومن يداهن عن ابنه أو أخيه أو أبيه أو قريبه قتل، فلا بد أن يبلّغ الكل عن المتهاونين)[1].

٢-الخروج على الولاة:

من مظاهر تأثر ابن تومرت بمعتقدات الخوارج - الخروج على الولاة، وتعد هذه العقيدة من أبرز معتقدات الخوارج: (فإنهم يكفّرون بالذنوب والسيئات . ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان)[2].

ولقد كتب ابن تومرت رسالة موجهة إلى ابن تاشفين قال فيها: (..قد أمرني الله بإدحاض حجة الظالمين، ودعاء الناس إلى اليقين، ونسأل من الله أجر المحسنين، لا تغتروا فإن المسلمين إليكم قادمون لقتال من زاغ وجنف، وكفر بنعمة الله، وقد جاء في التنزيل أنكم لستم بمؤمنين، ولا تؤمنون بلا إله إلا الله، وإنها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجب، وتارك واحدة من السنة كتاركها - التأثير الخارجي- ومن أجل ذلك دماؤكم حلال، ومالكم فيء)[3].

ولما لم يستجب لدعوته جهز جيشاً لقتالهم، خارجاً على الولاة ومستحلاً للدماء، وقال لجيوش الموحدين: (اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف، وإزالة البدع و الإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت السنة قتالهم)[4].

وقاتل الخليفة عبدالمؤمن دولة المرابطين وسبى نساءهم، باعتبار أنهم كفار، فقد قال :(عندما أزبد بحر الضلال وطمى، واعتلى سلطان الكفر

---

(١) نظم الجمان-ابن القطان-٢٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٧٣/١٩.

(٣) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٨٣.

(٤) المعجب-المراكشي-٦٤.

واستمى، وتطاير شر الأشرار وارتمى، وتفرقت في أنواع الأباطيل الآراء، وغيرت معالمَ السنةِ البدعُ والأهواءُ، والدين أجنبي غريب، لا مناسب له ولا قريب، ولا داعي له ولا مجيب)[1]. لهذا وجب قتالهم.

ومن التناقض في منهجية ابن تومرت أنه أخذ من الأشاعرة مسائل الصفات، وترك مسألة الخروج على الولاة، التي قال فيها الأشعري بعد عرض أقوال الناس فيها: (السيف باطل ولو قتلت الرجال، وإن كان الإمام قد يكون عادلاً وغير عادل، فليس لنا إزالته وإن كان فاسقاً، وانكروا الخروج على السلطان ولم يروه، وهذا قول أصحاب الحديث)[2].

وبتقرير هذا التقويم عند ابن تومرت، لا نعطي العصمة لدولة المرابطين، وخلوها من الذنوب وانتشار الفسق والمعاصي[3]، ولكن هذا لا يبرر الخروج عليهم وتكفيرهم، فقال ابن أبي زرع عن ابن تومرت بأنه: (يستنقص المرابطين ملوك المغرب، ويطعن فيهم، وينسبهم إلى الكفر والتجسيم، ويدعو إلى خلع طاعتهم)[4].

إن منهج أهل السنة والجماعة واضح المعالم في هذا الأمر، فذهبوا إلى (تحريم الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف، ما لم يصل ظلمهم إلى حد الكفر، وهذا قول جمع من الصحابة رضي الله عنهم)[5].

---

(١) مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية-١٢٩-لافي بروفانصال.

(٢) مقالات الإسلاميين-الأشعري-١٤٠/٢.

(٣) انظر: العبر في خبر من غبر-الذهبي-١٠٢/٤

(٤) الأنيس المطرب علي بن أبي زرع الفاسي-٢٢٠.

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة-اللاكائي-١٢٣٠/٧. والفصل في الملل والأهواء والنحل-ابن حزم-١٠٩/٤. والتمهيد-الباقلاني-١٨٦. وشرح النووي لصحيح مسلم-٢٢٩/١٢.

ولما تبنت دولة المأمون أقوال الجهمية، كان الإمام أحمد ينكر هذا المعتقد، ويثبت الإمامة لولي أمر المسلمين، (بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم؛ ويدعو لهم؛ ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة . وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم وإن لم يعلموا هم أنه كفر ؛ وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهمية الملحدين؛ وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة؛ وإن كانوا جهالا مبتدعين؛ وظلمة فاسقين)[١].

٣-تغيير المنكر باليد:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شريعة أهل الإيمان، وبه تتحقق خيرية الأمة، كما قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [٢].

ووضع سلف الأمة ضوابط في تغيير المنكر، اهتداء بالتوجيه النبوي الشريف: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٣].

وتغيير المنكر مباشرة باليد من علامات الخوارج، فهم (يخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين .. وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ولو ظهر داع يأمر وينهى، قال السلف: (فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٧/٥٠٨.

(٢) سورة آل عمران-آية رقم (١١٠).

(٣) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. وانظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية-ابن القيم-٢٧٨. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-الخلال-١٢٩. وإحياء علوم الدين-الغزالي-٣/٤٠.

جماعة وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين. فلا ينبغي لـه أن يغتـر بقراءتـه للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه فـي العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج)[١].

وهذا الوصف يتفق تمام الاتفاق في منهجية ابن تومرت، فقد (كثـر الداخلون في دعوتهم، وانضم إليهم كل مفسد ومريب واتسعت عليهم الدنيا)[٢]. ومن صفات ابن تومرت أيضاً أنه: (كان لا يرى منكرا أو لهواً إلا غيره بيده ولسانه، فاشتهر وصار له زبون وشباب يقرعون عليه في الأصـول)[٣]. لقد تعددت المناطق التي أظهر بها ابن تومرت الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر، وقد يكون هذا لأمرين اثنين:

١. إسقاط مقام دولة المرابطين في نفوس الناس.

٢. طلب الشهرة وتجميع الأتباع.

ثالثاً : الاتجاه الرافضي:

ومن الاتجاهات الفكرية المؤثرة على عقيدة ابن تـومرت العسـكرية، الاتجاه الرافضي، وهو من أبرز الاتجاهات تأثراً به، وقال المراكشي: (وكـان يبطن شيئاً من التشيع)[٤] وقال ابن خلدون: (ولم يحفظ عنه فلتة في البدعـة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصـوم)[٥] ويتمثـل تأثره بالاتجاه الرافضي، في الأمور التالية:

---

(١) الشريعة-الآجري-٢٢و٢٨-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤٠٣هـ

(٢) العبر في خبر من غبر-٢/٤٢٢. و: أخبار المهدي-البيذق-٢٣. والمعجب-المراكشي-٤٧. نظم الجمان-ابن القطان-٧٦.

(٣) شذرات الذهب-ابن العماد الحنبلي-٦/١١٧.

(٤) المعجب-المراكشي-٥٥.

(٥) تاريخ ابن خلدون-٦/٢٧٠. إن ابن خلدون: أغفل جميـع المخالفـات العقائديـة لابـن تومرت.

١-إن الإمامة ركن من أركان الدين:

فقد أوجب ابن تومرت اعتقاد الإمامة على الكافة، وأنها (وهي ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة، ولا يصح قيام الدين والدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة)(١). إن مقام الإمامة العظمى في منهج أهل السنة والجماعة - ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها(٢).

٢-عصمة الإمام:

هى من لوازم تحقيق مقاصد ابن تومرت على عظم مقام سلطته في بلاد المغرب ، وأكد على أن جميع ما يصدر من الإمام فهو حق، فقال: (لا يكون الإمام إلا معصوماً من الباطل، ومعصوماً من الضلال، ومعصوماً من الفتن، ومعصوماً من العمل بالجهل)(٣).

لقد أصبحت خطب الجُمَع في دولة الموحدين تؤكد على أن ابن تومرت هو: (الإمام المعصوم المهدي المعلوم أبي عبدالله محمد بن عبدالله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي المحمدي، الذي أيد بالعصمة فكان أمره حتماً، واكتنف بالنور اللائح، والعدل الواضح الذي يملأ البسيطة حتى لا يدع فيها ظلاماً وظلماً...)(٤).

٣-الطاعة المطلقة للإمام:

ومن تأثر ابن تومرت بالفكر الرافضي، الطاعة المطلقة للإمام. حيث قررت الرافضة أن ((الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسدد خُطَاها، فلو جاز

---

(١) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٢٤٥.

(٢) انظر: غاية المرام-الآمدي-٣٦٣. والاقتصاد في الاعتقاد-الغزالي-١٣٤. والسياسة الشرعية-ابن تيمية-١٦١. ومقدمة ابن خلدون-١/٢٤٤.

(٣) كتاب الإمامة-ابن تومرت-٢٤٥. وانظر: الاعتقادات-ابن بابويه-ط: إيران-١٣٢٠هـ

(٤) المعجب-المراكشي-٢٥٨.

الخطأ عليه لزم له آخر يسدده ، فيلزم التسلسل، فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام))[1] فمن كان معصوماً كانت طاعته واجبه، وأمره حتماً.

ولهذا جعل ابن تومرت أصل تعريف الإمامة، هي: (الاتباع والاقتداء، والسمع والطاعة، والتسليم، وامتثال الأمر واجتناب النهي، والأخذ بسنة الإمام في القليل والكثير)[2].

واعتبر ابن تومرت أن هذه الحقوق إذا أقيمت تم بها الأمر، (وثبت بها العمود الذي قامت به السموات والأرض وهو الإمام، أما متى ضيع أمر الإمام أو عُصِيَ أو نوزع أو خولف أو أهمل أو عطل ولم يرجع إليه، أو استبد دونه بقول أو فعل أو رأي أو نظر أو تدبير أو أخذ أو عطاء، أو أمر أو نهي، أو استغنى عنه دقيقة.. ومتى لم يتبرأ الكل من الأمر إلا له من غير حرج ولا ضيق ولا تهمة ولا سوء ظن، فمتى كان شيء من ذلك عطل أمره وزال العمود، وسقط السقف على الأرض)[3].

هذه مبادئ وثنية، وتقريرات شركية، أراد ابن تومرت أن يؤصلها في منهجه العسكري لدولة الموحدين، فهذه الحقوق المزعومة لمقام الإمامة، ماذا أبقت لمقام الرسالة؟ وقد قال ابن تيمية: (فمن أوجب طاعة أحد غير رسول الله ﷺ في كل ما يأمر به، وأوجب تصديقه في كل ما يخبر به، وأثبت عصمته أو حفظه في كل ما يأمر به ويخبر من الدين، فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله ﷺ والمضاهأة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك، سواء جُعل ذلك المضاهي لرسول الله ﷺ بعض الصحابة أو بعض القرابة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء من الملوك وغيرهم)[4].

---

(١) أصول التشيع-هاشم الحسيني-١٣١-١٣٢-دار القلم-بيروت (بدون تاريخ الطبع)

(٢) كتاب الإمامة -ابن تومرت-٢٥٤.

(٣) المصدر السابق-٢٤٧

(٤) جامع الرسائل-ابن تيمية-١/٢٧٣.

٤-الاعتقاد بالجفر:

ومن أمثلة تأثر ابن تومرت بالاتجاه الشيعي، اعتقاده بكتاب (الجفر) وهو من الكتب المعروفة عند الشيعة، وتعتقد به الشيعة بأن أصله أن هارون العجلي (توفي سنة ١٤٥هـ) (كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص)[١] وهذه الحوادث والأخبار بيّن ابن خلدون أنها (تنقل بين أهل البيت كثيراً من هذا الكلام، غير منسوب إلى أحد. وفي أخبار دولة العبيديين كثير منه)[٢].

ومن خلال سيرة ابن تومرت، أنه كان قد تلقى العلم في الدولة الفاطمية الشيعية، وقال المراكشي إن ابن تومرت: (وقع بالشرق على ملاحم من عمل المنجمين، وجفور من بعض خزائن خلفاء بني العباس، أوصله ذلك كله فرط اعتنائه بهذا الشأن وما كان يحدث نفسه)[٣].

لقد تناول العلماء البحث عن مدى صحة نسبة كتاب (الجفر) إلى جعفر بن محمد رحمه الله تعالى، فقال الذهبي عند ترجمة جعفر: (وقد كذبت عليه الرافضة، ونسبت إليه أشياء لم يسمع بها، كمثل كتاب الجفر)[٤]. وقال ابن خلدون: (وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواذ

---

(١) مقدمة ابن خلدون - ١ /١٨٦.وانظر: كشف الظنون- حاجي خليفة- ٤٢٠٩/١. ونيل الأوطار-١٤٦/٤- الشوكاني. وتأويل مختلف الحديث-ابن قتيبة-٧٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون-١ /١٨٦.

(٣) المعجب-المراكشي-٤٨.

(٤) تاريخ الإسلام-الذهبي-٣ / ٥٥. وانظر: الوافي بالوفيات- الدّين الصفدي. وروح المعاني- الألوسي-٢٧٧/١٠. وأبجد العلوم-صديق خان-٢١٤/٢. ومجلة المنار-رشيد رضا-٦٠/٤.

من الكلمات لا يصحبها دليل. ولو صح السند إلى جعفر لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه)[1].

وعند استعراض ابن تيمية بعض النصوص الثابتة في عدم اختصاص أئمة أهل البيت بشيء من العلوم عن الناس، قال: (وبهذا ونحوه من الأحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن ما ذكر عن عليّ وأهل البيت من أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون غيرهم - كذب عليهم، مثل ما يذكر من الجفر والبطاقة والجدول، وغير ذلك وما أثره القرامطة الباطنية عنهم، فإنه قد كذب على جعفر الصادق)[2].

لقد اطلع ابن تومرت على صحيفة الجفر، وأنه رأى فيها صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس من ذرية الرسول ﷺ يدعو إلى الله عز وجل، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى بترمذ، ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه، هجاء اسمه (ع ب د م و م ن) وتجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة، فأوقع الله في نفسه أنه القائم بأول الأمر، وأن أوانه قد أزف.

فما كان يمر بموضع إلا سأل عنه، ولا يرى أحداً إلا أخذ اسمه وتفقد حليته - وكانت حلية عبد المؤمن معه - فبينا هو في الطريق، (إذ رأى شاباً قد بلغ أشده على الصفة التي منه،فقال له وقد تجاوزه: ما اسمك يا شاب؟ فقال: عبد المؤمن،فرجع إليه وقال: الله أكبر،أنت بغيتي، فنظر في حليته، فوافقت ما عنده، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من كُومِيَّة - بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وفتح المثناة من تحت - قبيلة، فقال: أين مقصدك؟ فقال:الشرق، فقال :

---

(١) مقدمة ابن خلدون - ١ / ١٨٦.

(٢) جامع الرسائل-ابن تيمية-٢/٥٤- دار الفكر. وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية- ١٦٦/٢٥.

ما تبغي من الشرق؟ قال:أطلب علماً،قال: فقد وجدت علماً وشرفاً وذكراً، اصحبني تنله، فوافقه على ذلك، فألقى محمد إليه أمره، وأودعه سره)(١).

ومن أمثلة اطلاعه على (الجفر)، ما أخبر به تلميذه (البيذق)، فيقول: (جلس تحت شجرة خروب، وهو أبداً ينظر إلى الطريق ويحرك شفتيه بالذكر، وذلك الموضع يعرف بخروب العجوز، فبينما هو ذات يوم قاعد إذ سمعناه يقول: الحمدلله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأنفذ أمره وأقبل نحو المسجد وركع ركعتين، يصلكم غداً طالب، طوبى لمن عرفه ، وويل لمن أنكره) فلما سمع الناس غداً يصلكم طالب حاروا في أمره، وذلك أن الحق تبارك وتعالى - أزعج -(٢) أمير المؤمنين الخليفة عبدالمؤمن بن علي من بلده، نحو المشرق فجد حتى وصل (بجايه) هو وعمه يعلو)(٣).

وقال ابن خلكان: (رأيت في بعض تواريخ الغرب أن ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر، وفيه ما يكون على يده)(٤).

وتم نقل هذه الصحيفة إلى بلاد المغرب، كما ذكر ذلك ابن خلدون (وأنه وضع لبني عبد المؤمن، لذكر الأولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل، ومطابقة من تقدم عن ذلك من حدثانه، وكذب ما بعده)(٥).

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان-اليافعي. وأخبار المهدي-البيذق-١٨.

(٢) كلمة غريبة في معناها، منكرة في إضافتها لله، مشكلة في مضمونها وسياقها في النص.

(٣) أخبار المهدي-أبوبكر الصنهاجي (البيذق)-١٤.

(٤) وفيات الأعيان-ابن خلكان-٥/٤٥. وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة-٢/١٠٥. وسير أعلام النبلاء-١٩/٥٣٩.

(٥) مقدمة ابن خلدون- ١ / ١٨٨.

٥-الكذب والافتراء:

ومن تأثير الفكر الرافضي على النهج العسكري عند ابن تومرت، واتجاهاته الفكرية،تبني مبدأ الكذب، الذي يعتبر من معالم دين الرافضة[١]، ويكفي أن التقية هي أحد أركان الدين عندهم، وهي عقيدة مستمرة في حال الأمن والخوف[٢].

فمن أبرز مظاهر تأثر ابن تومرت بالرافضة الادعاء بأنه المهدي المنتظر، وكذلك دعوى النسب القرشي، وقد قال المؤرخون عن هذا الانتساب (دعوى الكذب والزور من أنه حسني ، وهو هرغي بربري ، وأنه إمام معصوم وهو بالإجماع مخصوم)[٣].

كما كذب ابن تومرت على أحاديث الرسول ﷺ، حينما أورد النصوص الواردة في المهدي وبين أن مكان الطائفة المتبعة لها في المغرب، وكذلك تكفير المرابطين والزعم بأنهم (مجسمة)[٤].

ومما يذكره المؤرخون عن ابن تومرت أنه نهج أسلوباً في دعوته في بادئ الأمر، فكان (إذا خشي بطشاً خلط في كلامه حتى ينسب إلى الجنون)[٥].

لقد سلك ابن تومرت مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) في دعوته، وقد قال ابن تيمية عن أكاذيبه ومخاريقه: فقد (صار يجيء إلى المقابر يدفن بها أقواما ويواطئهم على أن يكلموه إذا دعاهم ويشهدوا له بما طلبه منهم.. فإذا اعتقد

---

(١) الاعتقادات-ابن بابويه-١١٤. ومنهاج السنة النبوية-ابن تيمية-١/٥٩.

(٢) انظر: الاعتقادات-بابويه-١١٥ ووسائل الشيعة-محمد العاملي-١١/٤٦٦.

(٣) العبر في خبر من غبر-الذهبي-٢/٤١٢. وانظر: الأنيس المطرب -ابن أبي زرع-٢١٩. وعصر المرابطين والموحدين- محمد عبد الله عنان ٢/ ١٦٠ .

(٤) أعز ما يطلب-ابن تومرت- ٢٥٧. والمعجب-المراكشي-٥٨.

(٥) أخبار المهدي-البيذق-١٣. وانظر: الكامل في التاريخ-ابن الأثير-٨/٢٩٤.

أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهدون له بذلك عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره . ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتوا ولا يظهروا أمره، واعتقد أن دماء أولئك مباحة بدون هذا ، وأنه يجوز له إظهار هذا الباطل ليقوم أولئك الجهال بنصره واتباعه)[١].

٦-دعوى المهدية:

ومن تأثر ابن تومرت بالفكر الرافضي دعوى المهدية، وأنه الإمام الموعود به من النبي ﷺ، حتى قال عن نفسه ذلك في خطبة البيعة له: (الحمدلله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.. وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يبعثه الله لنسخ الباطل بالحق، وأن يملي مكان الجور العدل، والمغرب الأقصى منبته، وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل)[٢].

وقال ابن تومرت عن نفسه: (أنا محمد بن عبدالله ...ورفع نسبه إلى النبي ﷺ، وصرح بدعوة العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك وقال: (أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله)[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية-٤٧٦/١١. وانظر عن هذه الحادثة مؤرخ المغرب ابن أبي زرع في: الأنيس المطرب-٢٣٤. كما ذكرها ابن الأثير في الكامل-٢٩٧/٨.

(٢) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٢٥٧. وانظر: نظم الجمان-ابن القطان-٧٥-٧٦.

(٣) المصدر السابق-٢٥٧. والمعجب في تلخيص أخبار المغرب-المراكشي-٢٥٥.

المطلب الثاني

ابن تومرت في ميزان النقد

يُعَدُّ محمد بن عبدالله بن تومرت من الشخصيات التي اختلف الباحثون في تقويمها، وسوف أذكر بعض ما كتب في تقويمه، مبيناً الرأي المختار من خلال ما صدر عنه من كتب ورسائل، وتقويم علماء السلف.

وبتتبع أقوال المؤرخين والعلماء الذين تناولوا أقوال ابن تومرت بالدراسة - نجدهم يتفقون على تزكيته في جوانب العبادة، وشظف العيش، و انكار المنكر باليد، وقوة الصدع بما يعتقده، وحرصه على التعليم ، وصبره على [illegible]ذى في ذلك.

الجانب الأول : تقويمه في جوانب الإنكار والعبادة:

فمن أقوال العلماء في هذا الجانب: أنه ((كان رجلاً صالحا زاهداً ورعاً فقيهاً، وكان أمارا بالمعروف ، نهاء عن المنكر،خشِن العيش ، كثير العبادة ، شجاعا بطلا قوي النفس ، صادق الهمة ، فصيح اللسان،كثير الصبر على الأذى، وكان كثير الأسفار ولا يستصحب إلا عصا وركوة، ولا يصبر عن النهى عن المنكر، وأوذي بذلك مرات، دخل إلى مصر وبالغ في الإنكار، فبالغوا في أذاه وطرده.

ومن وقائع إنكار ابن تومرت للمنكر ما ذكر في سيرته، أن ابن تومرت خرج ليلة فقال أين فلان؟ قالوا: مسجون، فمضى من وقته ومعه رجل حتى أتى باب المدينة فدق على البواب دقا عنيفا ففتح له بسرعة، فدخل حتى أتى الحبس ونادى يا فلان فأجاب فقال: اخرج، فخرج والسجانون باهتون لا يمنعونه وخرج به حتى أتى المسجد، وكانت هذه عادته في كل ما يريده لا يتعذر عليه)[١].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء-الذهبي-٥٣٩/١٩. وشذرات الذهب-١١٧/٦ والكامل التاريخ-ابن الأثير-٢٩٨/٨

وقيل عن شظف عيشه: كان (قوته - من غزل أخت له - رغيفاً في كل يوم بقليل سمن أو زيت ، ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً - وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه - فأمر بضم جميعه فأحرقه، وقال : من كان يبتغي الدنيا فما له عندي إلا ما رأى، ومن يبتغ الآخرة فجزاؤه على الله)[١].

وقال المؤرخون عنه: كان (عمالا على الملك، غاويا في الرياسة والظهور، ذا هيبة ووقار، وجلالة ومعاملة وتأله، وكان خشن العيش، فقيرا، قانعا باليسير، مقتصرا على زي الفقر، لا لذة له في مأكل ولا منكح، ولا مال، ولا في شيء غير رياسة الأمر)[٢].

ومن مظاهر الاهتمام بالجانب التعبدي عند ابن تومرت، العناية ببناء المساجد، فلا يستقر في مكان يصل إليه إلا ويأمر أتباعه ببناء مسجد فيها، فيقول تلميذه البيذق، وقد سافر مع ابن تومرت في رحلاته: (فسار الإمام إلى ملالة، فلما رأوه قال له بنو العزيز: يا فقيه نريد أن نبني لك مسجداً هنا؟ قال: نعم إن شئتم، فبنوا له مسجداً- ويستمر البيذق في وصف رحلة ابن تومرت- فيقول: (فلما دخلنا الأخماس وجد فيه المعصوم مسجداً مهدوماً، فأمر ببنايته فبني،ثم منها نحو كساس ومرمور فوجد بها مسجداً معطلاً فأمر بعمارته فعمر)[٣].

---

(١) وفيات الأعيان-ابن خلكان-٥/٥٤. لا نؤيد الفعل، ولا تسميتها غنيمة لأنها من مال المسلمين في دولة المرابطين، فلم يثبت في تاريخ ابن تومرت العسكري محاربة غير المرابطين.

(٢) سير أعلام النبلاء-الذهبي-١٩/٥٣٩. ٢٠/٣٦٧. و البداية والنهاية-ابن كثير-١٦/٢٤٥.وشذرات الذهب-٦/١١٧.

(٣) أخبار المهدي- البيذق-١٣-١٨.

فمن خلال النصوص السابقة يتبين لنا في ميزان نقد ابن تومرت – بعض الأمور التالية:

١. قد يتفق كُتَّابُ التاريخ على الثناء في الجوانب العبادية عند ابن تومرت، والزهد في الحياة الدنيا–فيما يظهر للناس– .

٢. يظهر من خلال شخصيته القوة في تغيير المنكر باليد، والتأكيد على أن حكم دولة المرابطين ليست متساهلة فقط في المنكرات، بل هي راعية لها.

٣. الحرص على إظهار الجوانب التعبدية للأتباع، وإلزامهم بذلك.

٤. يتميز ابن تومرت بقوة حجة البيان، والقدرة على استمالة العقول، وتغيير الأفكار والمناهج.

٥. سعة علومه واطلاعه المتنوع على العلوم والمعارف، ساعده ذلك على كسب تعاطف الولاة وإمالة العامة نحوه

٦. تتفق أقوال العلماء في ابن تومرت أنه صحب همة عالية، وصبر فريد، ويسلك أشد الطرق التربوية في تربية الأتباع والمريدين.

الجانب الثاني: تقويم شخصيته في المسائل الاعتقادية والتربوية:

أولاً : نشر المذاهب الكلامية والفلسفية في المجتمع:

من تقويم العلماء لآراء ابن تومرت، نجد الذهبي، يقول عنه: (ألف عقيدة لقبها بالمرشدة، فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبذ من خالف المرشدة بالتجسيم، وأباح دمه.. ودخل والله في الدماء لنيل الرياسة المردية)[1].

ومما اتفق عليه العلماء أن ابن تومرت سعى لتغيير عقيدة المجتمع المغربي الذي كان يعتقد بمجمله عقيدة السلف الصالح، فيقول المراكشي:

---

(١) سير أعلام النبلاء–الذهبي–١٩/٥٣٩. وانظر: العبر–الذهبي–٤/٥٧.

(وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية، وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم ، ويعادون من ظهرت عليه شديداً)[1].

إن دور ابن تومرت في نشر المعتقد الأشعري، ينحصر في إقراره وإلزام الناس به، وإلا فإن المسائل العقائدية على منهج الأشاعرة وأهل الكلام معروفة في بلاد المغرب قبل ابن تومرت ، ولكنها محظورة[2]، فمن علماء الأشاعرة المغاربة الفقيه أبو عمران الفاسي، الذي رحل إلى بغداد عام (٣٩٩هـ) وتلقى أصول المذهب الأشعري على القاضي أبي بكر الباقلاني، ومنهم أبو الوليد الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ[3]، وأبو بكر محمد بن الحسن المرادي المتوفى سنة ٤٨٩هـ، ومنهم القاضي أبو بكر بن العربي المعافري المتوفى سنة ٥٤٣هـ، والذي رحل إلى بغداد وأخذ العقيدة الأشعرية عن أبي حامد الغزالي، وعاد إلى المغرب سنة ٤٩٤هـ، وقابل عبدالمؤمن بن علي الصاحب الخاص لابن تومرت، وخليفته من بعده[4].

ولكن هذه المعرفة بالمذهب الأشعري معرفة (أفراد) وإنما كان دور ابن تومرت فرض المعتقد، وتأصيله بالكتب والتعليم والتربية، وتنفيذه بالقوة.

ويؤكد هذا المفهوم أن ابن خلدون بين دور ابن تومرت في أخذ علم الكلام من علماء الأشاعرة، ثم إلزام أهل المغرب عليه، فيقول: (كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل، وإمرار المتشابهات كما جاءت، فطعن على أهل المغرب في ذلك

(١) المعجب-المراكشي-٤٩.

(٢) انظر: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين-جمال أحمد طه-٢٩٦.

(٣) انظر: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي-عبدالمجيد تركي ص٢٣٠-دار الغرب الإسلامي-الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

(٤) انظر: الحلل الموشية-١٢٢-١٢٣.

وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم، وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة والتوحيد)[١].

ويصف المقريزي الحال بشأن إلزام الناس بعقيدة الأشاعرة التي وصلت إلى المغرب العربي، فيقول: (صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث إن من خالفه ضرب عنقه ، والأمر على ذلك إلى اليوم-عصر المقريزي)[٢].

إن تغيير عقيدة المجتمع المتصلة بالكتاب والسنة، وفهم الصحابة رضي الله عنهم لها، إلى مسائل كلامية مختلطة بأقوال الفلاسفة واليونان، ومؤصلة بحجج عقلية ضعيفة - من أبرز الأمور التي جاء بها ابن تومرت إلى بلاد المغرب.

وتواصلاً مع تغيير عقيدة المجتمع عند ابن تومرت- نجده كذلك لم يقتصر على الأخذ بآراء الأشاعرة في مجمل العقائد، وإنما تأثر أيضاً بآراء المعتزلة، كقولهم: (إن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، كما سمى مرتكب الكبيرة بالفاسق، ولم يسمه بالمؤمن أو الكافر)[٣].

وقد بين ابن تيمية نسبة تسمية (الموحدين) وهم أتباع ابن تومرت إلى فرقة المعتزلة فيقول عن المعتزلة: (أصولهم خمسة يسمونها التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات، ولهذا سَمَّى ابن تومرت أصحابه الموحدين، وهذا إنما هو إلحاد في أسماء الله وآياته)[٤]. ويقوّم ابن تيمية المنهج الدعوة عند ابن تومرت، فيقول: (اختار كل مبطل أن يأتي بمخاريق لقصد صلاح العامة، كما فعل ابن التومرت الملقب بالمهدي) ثم

---

(١) تاريخ ابن خلدون-٦/٢٦٧.

(٢) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار-٤/١٥٠-١٦٧..

(٣) أعز ما يطلب-ابن تومرت-٢٠٣ وما بعدها.

(٤) الفتاوى الكبرى -ابن تيمية-٥/٨٥.

يصف ابن تيمية عقيدة ابن تومرت بعد اطلاعه على بعض كتبه ، ومنها (المرشدة) بأن (مذهبه في الصفات مذهب الفلاسفة ؛ لأنه كان مثلها في الجملة، ونوع من رأي الخوارج الذين يرون السيف، ويكفّرون بالذنب)[١].

وعدد ابن القيم بعض الصفات التي نفاها (الموحدون)، فقال: هم (نفاة صفات الرب وكلامه، وعلوه على خلقه، واستواؤه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة)[٢] وهو منهج الاعتزال في الصفات المذكورة[٣].

ثانياً : تشابه ابن تومرت مع الرافضة في وجوب الإمامة:

ومن المخالفات العقائدية عند ابن تومرت القول بأن الإمامة ركن من أركان الدين، فيقول: (وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة، وهي ركن من أركان الدين ، وعمدة من عُمُدِ الشريعة، ولا يصح قيام الدين والدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة)[٤].

وبهذا الرأي يضيف ابن تومرت إلى منهجه العقدي مذهباً آخر وهو مذهب الرافضة، وكما جعل ابن تومرت الإمامة ركناً من أركان الدين – فقد أضفى على منصبها مقام العصمة، وهو بهذا القول يريد أن يؤكد إلزامية طاعته، إضافة إلى اتفاقه مع المذهب الرافضي القائل بعصمة الإمام، فيقول ابن

---

(١) الفتاوى الكبرى –ابن تيمية–٥٠١/٣. وانظر: درء تعارض العقل والنقل–٤٣٨/٣–طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية–تحقيق محمد رشاد سالم–ط:١–١٤٠١هـ.

(٢) المنار المنيف –ابن القيم–١٥٣– المطبوعات الإسلامية–حلب–ط٢–١٤٠٣هـ.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة–القاضي عبدالجبار–١٢٨، ٢٣٢، ٢٢٦–مكتبة وهبة–مصر–عابدين–ط:٢–١٤٠٨هـ. والانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد–عبدالرحيم الخياط–٧٥–دار الكتب المصرية–القاهرة–١٣٤٤هـ. المختصر في أصول الدين–القاضي عبدالجبار–٢١٤–٢٢٠–ضمن رسائل العدل والتوحيد–تحقيق محمد عمارة–دار الشروق–القاهرة–ط:١–١٤٠٧هـ.

(٤) أعز ما يطلب–ابن تومرت–٢٤٥.

تومرت: (لا يكون الإمام إلا معصوماً من الباطل، ومعصوماً من الضلال ومعصوماً من الفتن، ومعصوماً من العمل بالجهل)[1].

ولم يورد ابن تومرت تفصيلاً لمناط العصمة في فكر الإمام وعمله، إلا أننا نستنتج من أقواله أن العصمة تتعلق بجانبين أشار إليهما في قوله (لا يصح الاتفاق إلا باستناد الأمور إلى أولي الأمر، وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم)[2].

فالجانب الأول: تتضمنه العصمة من الباطل، وهي عصمة الإمام في الآراء والمبادئ والتعليم التي يدعو إليها ويبشر بها، فهي كلها حق، ولا يصح أن يداخلها الباطل بحال من الأحوال وهو ما أكده بقوله عن المهدي (إنه معصوم فيما دعا إليه من الحق لا يجوز عليه الخطأ فيه)[3].

والجانب الثاني: تتضمنه العصمة من الظلم، وهو يتعلق بسياسة الناس والقيام على شؤونهم وتدبير أمورهم، وقد أكد ابن تومرت عصمة الإمام في تصرفاته في هذا الجانب، وعبر عن ذلك بالعصمة من الفساد كما في قوله (لا يقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد)[4]. والمقصود بالفساد في هذا المقام، فساد الحكم بارتكاب المظالم وممارسة القهر والطغيان والتفريط في مصالح العباد.

ثالثاً : ادعاؤه المهدية:

إن المهدي المنتظر الوارد بالنصوص الصريحة الصحيحة، من المسائل الاعتقادية التي أوردها الخلف عن السلف، موسم بها نعته، ووقت خروجه، ومن هذه الأحاديث قول الرسول الله ﷺ:(لا تذهب الدنيا حتى يملك العربَ

---

(١) كتاب الإمامة-ابن تومرت-٢٤٥. وانظر: أصول الكافي-للكليني-١/١٧٥.

(٢) أعز ما يطلب-رسالة في الإمامة-ابن تومرت-٢٤٦.

(٣) المصدر السابق-رسالة في القواعد-ابن تومرت-٢٥٧

(٤) المصدر السابق-رسالة في الإمامة-ابن تومرت-٢٤٦

رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[١]. وقوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا، قال ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا)[٢].

وقد رويت آثار عن علماء السلف في إثبات حقيقة المهدي الثابت بالسنة الصحيحة، وأبانوا أن المهدي من المبشرات النبوية، وهو (المهدي الذي هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان)[٣].

وقال السهيلي عند حديثه عن فضائل فاطمة رضي الله عنها: (ومن سؤددها أن المهدي المبشر به في آخر الزمان من ذريتها، والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة جمعها أبوبكر بن خيثمة فأكثر)[٤].

إن مما اتفق عليه العلماء أن ابن تومرت قد ادعى لنفسه بأنه المهدي المنتظر المعلوم، وأضاف إلى ذلك بأنه معصوم، وطاعته واجبه، ومخالفته كفر وردة عن الدين، وتناقل هذه القضية مؤرخو دولة الموحدين[٥] ومؤرخون من غيرهم.

---

(١) سنن الترمذي-كتاب الفتن-باب ما جاء في المهدي-رقم (٢١٥٦)وقال حديث حسن صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل-٣/٣٦. وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي-٤/٥٥٧. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة- الألباني- رقم ١٥٢٩.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ-ابن الأثير الجزري-١٠/٣٢٧.

(٤) الروض الأنف-السهيلي-١/٢٨٠. وانظر: منهاج السنة النبوية-ابن تيمية-٨/٢٥٤.

(٥) انظر: نظم الجمان-ابن القطان-٦٢. وأخبار المهدي- البيذق-٣٤. والمن بالإمامة-عبدالملك بن صاحب الصلاة-٢٠١-دار الغرب الإسلامي-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة-١٩٨٧م. والأنيس المطرب -علي بن أبي زرع الفاسي-٢٢٠.

وإعلان مهدية ابن تومرت قد يظهر من خلال الرواية التاريخية التـي يذكرها ابن القطان، فيقول: (لقد وقفت على نسخة صك كتبه الفقيه القاضي على بن أبي الحسن الجذامي أوله بعد البسملة والصلاة، أقول: وأنا محمد بن عبدالله تومرت وأنا مهدي آخر الزمان. وتاريخه آخر شهر رمضان المبارك عام ٥١١هـ) فجاء من هذا أنه كان يلقب بذلك من قبل(١).

ويظهر أيضاً أن دعوى المهدية عند ابن تومرت كان يزوّرها في نفسه، كما تشير بعض كتب التاريخ، إلا أنه قال أبياتاً بعد خروجه من مصر، يفهم منها الإشارة إلى ما أضمره في نفسه من مبدأ الاعتقاد في الإمام المعصوم، وهي:

ذرني وأشياء في نفسي مخبأة	لألبسنَّ لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت كفي ببغيتها	ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبي
حتى أطهر هذا الدين من نجس	وأوجب الحق للسادات أحبابا
وأملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت	جوراً وأفتح للخيرات أبوابا(٢)

ويروي المؤرخ المراكشي موقفاً بين ابن تومرت وعبدالمؤمن، يفهم منه أن أمر السلطة والمهدية في نفسه لا يفترقان، فيقول المراكشي: (استدعى عبدالمؤمن وخلا به، وسأله عن اسمه واسم أبيه ونسبه فتسمى له وانتسب، وسأله عن مقصده فأخبره أنه راحل في طلب العلم إلى المشرق، فقال له ابن تومرت: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: شرف الدنيا والآخرة، تصحبني

---

(١) انظر عن بداية إعلان ابن تومرت للمهدية: نظم الجمان-ابن القطان-٧٤. وروض القرطاس-بن أبي زرع-٢٢٣-٢٢٧. والمعجب-المراكشي-٢٥٤. وثائق موحدية-٢-٥.

(٢) عيون الأخبار-محمد كتبي-١٢/١٠٧-١٠٨. والوفي بالوفيات-الصفدي-١/٤٢٨

وتعينني على ما أنا بصدده، من إماتة المنكر، وإحياء العلم ، وإخماد البدع ، فأجابه عبدالمؤمن إلى ما أراده)[١].

لقد اتبع ابن تومرت طريقة في إعلان مهديته فقد: (أمر رجالاً من المصامدة ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل ، وجعل يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك)[٢].

لقد تم إعلان المهدية سراً، ثم أخذ يشيع في موطنه السوس وبموقع التينملل، أنه الإمام المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا: (فبايعه العشرة تحت شجرة خروب، على حمايته من عدوه وطاعته في كل أمر، وأن يكونوا معه يداً واحدة، ثم قام خمسون رجلاً وبايعوه بمثل ما بايع به العشرة السابقون، ثم قام سبعون رجلاً آخرون وبايعوه بمثل ما بايعه السابقون، ثم تبعتهم القبائل في البيعة)[٣].

وبعد المبايعة أغراهم بصدق الإيمان وقال لهم: (ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعنيون بقوله ﷺ (لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله)[٤] أنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن

---

(١) المعجب-المراكشي- ٤٨-٤٩. وانظر: أخبار المهدي- البيذق-١٦.

(٢) المصدر السابق-المراكشي-٥٦ ونظم الجمان-ابن القطان-٧٥.

(٣) قيام دولة الموحدين مراجع عقيلة الغناى-٢٢٨. وانظر: المعجب-المراكشي-٥٥.

(٤) الحديث أخرجه البخاري-كتاب المناقب-باب سؤال المشركين-برقم (٣٣٦٩).

مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة)، وكان يقول: (لوشئت أن أعدّ خلفاءكم خليفة خليفة، فزادت فتنة القوم به، وأظهروا له شدة الطاعة)[1].

لقد أصبح اللقب الرسمي لابن تومرت (المهدي المعلوم، والإمام المعصوم) وذلك من خلال الرسائل التي تصدر من أمراء الدولة من بعده[2].

لقد كان من أبرز أسباب تقرير مبدأ المهدية وقبولها في مجتمعه – ضعف العلم الشرعي عند أهل السوس، وغياب دور العلماء الراسخين في المجتمعات، وخاصة المناطق الجبلية البعيدة عن مواقع العلماء، ولهذا كان يستميل الأحداث وذوي الغباوة، وكان ذو الحلم والعقل من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فكان لا يتم له مع ذلك حال، كما ذكر أهل الأخبار.

ومن الأسباب أيضاً أن فكرة المهدية لم تكن أمراً غريباً عليهم، فقد ألفوها من الدعوة الشيعية التي وصلت أطراف المغرب، كما سبق الإشارة إلى ذلك.

ولما كان الحال كما ذكر، أسس ابن تومرت في بلاد السوس لتلاميذه مقراً يجتمعون فيه، ولإضفاء الصبغة الدينية فقد اختار بناء مسجد لهم، وشرع يدّرس لهم على شكل حلقات منظمة، ومن خلال الدروس بث أفكاره بين تلاميذه، وأخذ يعدهم إعداداً خاصاً، فألف لهم كتاباً سماه كتاب (التوحيد) بلسانهم البربري ، قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم بعد صلاة الصبح، وكان يؤكد لتلاميذه بأن: (من لا يحفظ هذا (التوحيد) فليس بمؤمن ، وإنما هو كافر، لا تجوز إمامته ، ولا تؤكل

---

(١) المعجب-المراكشي-٥٨. يلاحظ أن ابن تومرت قد حرف الأحاديث الواردة في الغربة فأضاف إلى نصوصها ما يرى أنه يخدم فكرته.

(٢) انظر نماذج من هذه الرسائل في المن بالإمامة-عبدالملك بن صاحب الصلاة-٢٢٥.

ذبيحته، فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز)[1]. ولم يقتصر هذا الأمر على الدروس الدينية، بل إن كل من تهاون في الطاعة لأوامره أو خرج عنها قتل، ومن لم يحفظ حزبه أو درسه ضرب بالسياط، وإن تمادى في ذلك قتل، ومن يداهن عن ابنه أو أخيه أو أبيه أو قريبه قتل، فلا بد أن يبلغ الكل عن المتهاونين[2].

رابعاً : ادعاؤه المكاشفات المغيبة:

استطاع ابن تومرت أن يضفي على عقيدته العسكرية وأوامره - مبدأ (الكواشف الغيبية) كما ذكرت سابقاً عند الحديث عن تأثر ابن تومرت بمعتقدات الرافضة، ما يدل على ادعائه للمكاشفات الغيبية.

ويقرر ابن تومرت مهديته بإظهار دعوى المكاشفات الغيبية ، وقد سطر المؤرخون نماذج منها، مثل ما يذكره تلميذه ورفيق سفره البيذق، حيث يقول: ((فلما جن الليل ناداني المعصوم، يا أبابكر (البيذق): ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر، فدفعته له وقال لي: أسرج لنا سراجاً، فكان يقرأه على الخليفة من بعده (عبدالمؤمن ابن علي)، وأنا يومئذ ما سك السراج أسمعه يقول: لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبدالمؤمن بن علي سراج الموحدين، فبكى الخليفة عند سماع هذا القول، وقال يا فقيه: ما كنت في شيء من هذا، إنما أنا رجل أريد ما يطهرني من ذنوبي؟ فقال له المعصوم: (إنما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يديك، ثم دفع له الكتاب وقال: طوبى لأقوام كنت مقدمهم، وويل لقوم خالفوك أولهم وآخرهم)[3].

---

(١) روض القرطاس-ابن أبي زرع-٢٢٧.

(٢) انظر: الحلل الموشية -٨٩. ونظم الجمان-ابن القطان-٢٩.

(٣) أخبار المهدي- البيذق-١٦. وانظر: سير أعلام النبلاء-الذهبي-٥٣٩/١٩.

لقد انطلت هذه الحيلة على مجتمعه وأتباعه، وقال ابن أبي زرع: (فاستهواهم -قبائل المصامدة- بكيده، وغلبهم بعذوبة لفظه ولسانه ومكره، حتى كانوا لا يذكرون غيره ولا يمتثلون أمراً إلا بأمره، يستغيثون به في شدائدهم، ويتبركون بذكره عند موائدهم)(١). وإضافة إلى ادعائه الكواشف الغيبية فقد كان (من أوحد أهل عصره في علم خط الرمل، مع أنه وقع بالشرق على ملاحم من عمل المنجمين)(٢).

خامساً : استحلال الدماء المعصومة:

ومن جوانب تقويم النهج العسكري عند ابن تومرت استحلال دماء المسلمين بعد أن كفرهم، ففي سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً من المصامدة، وقال لهم (اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف، وإزالة البدع و الإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم)(٣).

ومن خلال وصف المؤرخين لحصار مدينة (مراكش) على يد الخليفة عبدالمؤمن، (المتربي على نهج ابن تومرت العسكري) يتبين لنا إباحة دماء المسلمين والتهاون فيها،فقد (طال الحصار عليهم واشتد الجهد بهم، ولكثرة خيلهم ورجلهم نفد طعامهم، وفنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم، ومات منه بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين ألفاً، ولما طال عليهم الحصار واشتدت أحوالهم هلكوا جوعاً حتى أكلوا الجيف) (٤).

---

(١) الأنيس المطرب-ابن أبي زرع-٢٢٦.

(٢) المعجب-المراكشي-٤٨.

(٣) المصدر السابق-المراكشي-٦٣-٦٥. وأخبار المهدي-البيذق-٣٥.

(٤) الحلل الموشية-١١٣-١١٤. وانظر: البداية والنهاية-ابن كثير-٢٤٦/١٦.

وبعد الحصار وبناء على تعليمات ابن تومرت، فقد بقيت مراكش ثلاثة أيام لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج، وأبى الموحدون دخولها، لأن المهدي كان يقول لهم: (لا تدخلوها حتى تطهروها) [1].

ونقل عدد من العلماء ما اشتهر عن ابن تومرت في سفك الدماء، فيقول ابن تيمية عنه: (استحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك، وأهل المدينة يقرعون القرآن الحديث، والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مشبهة مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم . واستحل أيضا أموالهم وغير ذلك من المحرمات بهذا التأويل)[2].

ولشدة سفك ابن تومرت للدماء جعله ابن القيم أشر من الحجاج بن يوسف الثقفي، حينما قال: (إنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل. ملك بالظلم والتغلب والتحيل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شراً على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير)[3].

إن مبدأ سفك الدماء والتهاون فيها ظاهرة مشهورة من ظواهر دولة الموحدين، حتى صارتْ بلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم المهديّ المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك

---

(١) المصدر السابق-١٤٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٤٧٦/١١. وعن حكم ابن تومرت في المرابطين: أعز ما يطلب-٢٦٣-ابن تومرت.

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف-ابن القيم-١٥٣. وانظر: سير أعلام النبلاء-الذهبي- ٥٣٩/١٩. وانظر: العبر-٥٧/٤. و ذيل تاريخ دمشق-بن القلانسي-٢٩١. و البداية والنهاية-ابن كثير-١٦-٢٤٥.

من دماء خلائق لا يحصيها إلاّ اللّه خالقها سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ[1].

إن جمع الضدين في سيرة ابن تومرت من غرائب سيرته، فقد يصعب أن يجمع بين ما نقل العلماء عن شدته في العبادة وبين تهوره في سفك الدماء، إلا بعد العودة إلى النصوص الحديثية التي تخبر عن تمثل هذه السيرة في فرقة الخوارج، كقول النبي ﷺ في ذي الخويصرة: (فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ..)[2] وقد تناول السلف رحمهم الله هذه الأحاديث بالتوضيح والبيان[3]، ومن أبرز ما توصف به الخوارج: (شدة العبادة والتهاون في سفك الدماء المسلمة).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، حينما ذكر عنده الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن، فقال: (ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، ثم هم يضلون)[4].

ويمكن أن تتحقق في شخصية ابن تومرت الوصف الذي وصفه به المستشرق ليفي برو فنسال، حينما قال عن ابن تومرت: (شخصية تستهوي من

---

(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار-المقريزي-٤/١٥٠-١٦٧-دار صادر.

(٢) صحيح البخاري-كتاب المناقب-أعلام النبوة-برقم الحديث(٣٣٤١).

(٣) قال الآجري: (لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً في أن الخوارج قوم سوء عصاة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم إن اظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون..)-الشريعة-٣١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة -اللالكائي-٧/١٢٣٣. وانظر النص في مصنف عبدالرزاق-١٠/١٢٠و١٥٣- برقم (١٨٥٨١) و(١٨٦١٦٥) وفي مصنف بن أبي شيبة-١٥/٣١٣ برقم (١٩٧٤٧) .

حولها إلى أقصى حد، ونفس بسيطة ومعقدة في آن واحد، وعالم إن شئنا، ومصلح ديني، إلا أنه سياسي بلغ الغاية في الألمعية والإخلاص، مؤمن برسالته إيماناً يفضي به إلى الرغبة في أن يحققها بقوة ضاربة. وقالوا عنه: خائن كذاب، وكان في الإمكان اتهامه بالجنون والدروشة والشطحات الصوفية، ولكنه لم يتهم قط في ذكائه. ومجمل القول أنه كان شعلة ذكاء بربرية إذا جاز لنا ذلك، وهذا مع صفاء في النفس لا يخلو من الرقة الحضرية والريبة فيمن حوله)[1].

وهذا التناقض في الشخصية، والأحكام المتضاربة في ابن تومرت من أبرز أسبابها تنوع المشارب المعرفية في العلوم، مع هوى في النفس، ورغبة في السلطة.

* *

(١) الإسلام في المغرب والأندلس-ليفي بروفنسال-١٣٧-١٣٨.

أهم نتائج البحث

الحمدلله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبعد: فإني أحاول في ختام هذا البحث أن أبرز أهم النتائج التي بدت لي خلال إعدادي له، وهي كما يلي:

١- إن تربية الجيوش تربية عقائدية من أهم ما يجب أن يعتنى به في التدريب والتعليم، وتأتي التربية العقائدية مقدمة على التسليح. ومن النظر في موافقة أو مخالفة ابن تومرت في آرائه، ظهر أثر هذه التربية على دولة الموحدين والتي بقيت قرناً وربع قرن من الزمان.

٢- يبرز في النهج العسكري عند ابن تومرت التناقض واختلاف الآراء، وبخاصة على المخالفين، وهذا من أبرز تنوع المعارف المتعارضة، ومصادر التلقي المتناقضة، وقد كان سبب هذا الاضطراب في مواقفه اختلاف الناس في الحكم عليه وتقويمه.

٣- في عصر دولة الموحدين ظهرت بعض الأفكار والمذاهب التي لم تكن ظاهرة في عهد المرابطين، فظهر كبار الصوفية أمثال ابن عربي الحاتمي الأندلسي، وابن سبعين، وانتشرت المذاهب الكلامية.

٤- أقام ابن تومرت دولة الموحدين على مبادئ من أبرزها (الاعتقاد بمهدية ابن تومرت وعصمته)، ولتقرير هذا المبدأ اتخذ مسلك (الغاية تبرر الوسيلة) فقتل واستباح المسلمين في دولة المرابطين.

٥- أثناء ظهور دعوة ابن تومرت إلى نهجه العسكري، توقف الجهاد في دولة المرابطين ونشر الإسلام، وبإسقاط دولة المرابطين انقطعت الدعوة بالمغرب للخلافة العباسية.

٦- اتصف ابن تومرت بصفات أهلته لتولى القيادة والتنظيم للنهج العسكرى في دولة الموحدين، ومن أبرزها: الذكاء والفطنة، وقوة الشخصية، وتذليل الصعاب.

فهرس المراجع

أولاً : كتب ابن تومرت وما كتب عنه:

١- الإسلام في المغرب والأندلس-ليفي بروفنسال-ترجمه عبدالعزيز سالم وآخرون-مكتبة نهضة مصر ومطبعته (بدون تاريخ الطباعة)
٢- أعز ما يطلب-ابن تومرت-المطبعة الشرقية-الجزائر-١٩٠٣م.
٣- إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين-علي الصلابي-دار التوزيع والنشر الإسلامية-مصر-القاهرة-ط١-١٤٢٤هـ
٤- الإمامة عند ابن تومرت-دراسة مقارنة مع الإمامية الاثنى عشرية-علي الإدريسي-الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية-١٩٨٧م.
٥- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس-علي بن أبي زرع الفاسي-المطبعة الملكية-الرباط- الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ
٦- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية-الزركشي-المطبعة العتيقة-تونس-١٩٦٦م.
٧- تاريخ المغرب العربي- سعد زغلول عبدالحميد-منشأة المعارف-الاسكندرية-٢٠٠٠ .
٨- تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت- عبدالوهاب النجار-المعهد العالي للفكر الإسلامي- هيرندن-الطبعة الثانية-١٤١٥هـ
٩- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس-الحميدي- طبع برعاية محمد زاهد الكوثري-١٣٧١هـ-مصر.
١٠- الحلل الموشية- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء-ط:١- ١٣٩٩هـ.
١١- الرسالة المنظمة- ضمن سفر: أعز ما يطلب-ابن تومرت- المطبعة الشرقية-الجزائر-١٩٠٣م.

١٢- شرح رقم الحلل في نظم الدول-لسان الدين ابن الخطيب-منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية-دمشق-١٩٩٠م

١٣- شرح مرشدة محمد بن تومرت-محمد السكوتي-بيروت-دار الغرب الإسلامي-١٩٩٣م.

١٤- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس-محمد عبدالله عنان-مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة-ط:١-١٣٨٣هـ

١٥- قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي-عبدالكريم غلاب-دار الغرب الإسلامي-بيروت-الطبعة الأولى-١٤٢٦هـ

١٦- قيام دولة الموحدين -مراجع عقيلة الغناى- جامعة قاريونس-بنغازي-١٩٧-الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٧- كتاب الإمامة-ضمن سفر: أعز ما يطلب-ابن تومرت- المطبعة الشرقية-الجزائر-١٩٠٣م.

١٨- مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية-لافي بروفانصال-مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية-رباط الفتح-١٩٤١

١٩- محاذي الموطأ -ابن تومرت-(مخطوط)-خزانة القرويين بمدينة فاس رقم ٤٠/١٨١.

٢٠- محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس-سعد زغلول عبدالحميد- جامعة بيروت العربية-١٩٧٣

٢١- مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين-جمال أحمد طه-دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر-الإسكندرية-ط:١-٢٠٠٢م.

٢٢- المعجب في تلخيص أخبار المغرب -المراكشي-طبعة محمد سعيد العريان سنة ١٩٦٣م

٢٣- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- عبدالواحد بن علي المراكشي- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق ١٩٧٨.

٢٤- المن بالإمامة-عبدالملك بن صاحب الصلاة-دار الغرب الإسلامي-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة-١٩٨٧م.
٢٥- المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب-عبدالمجيد النجار- دار الغرب الإسلامي-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٢٦- المهدي-محمد أحمد إسماعيل المقدم-الدار العالمية-الإسكندرية -ط:٤-١٤٢٥هـ .
٢٧- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين-حسين مؤنس-مكتبة الثقافة الدينية-ط١ ١٤٢٠هـ.
٢٨- نظم الجمان في أخبار الزمان-ابن القطان-جامعة محمد الخامس-الرباط-١٩٦٤م.

ثانياً : مراجع البحث :

١- الإباضية بين الفرق الإسلامية-علي يحي معمر-دار الحكمة-لندن-ط٤-١٤٢٢هـ.
٢- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ-إبراهيم شعوط-دار الشروق-جدة-ط:٦-١٤٠٣هـ.
٣- أحكام القرآن-ابن العربي-دار المعرفة-بيروت-لبنان-(بدون تاريخ الطبع)
٤- إحياء علوم الدين-الغزالي-دار الفكر-١٣٥٦هـ.
٥- أصول التشيع-هاشم معروف الحسيني-دار القلم-بيروت-(بدون تاريخ الطباعة).
٦- أصول الكافي-للكليني-تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري-دار الكتب الإسلامية-طهران-ط:٣-١٣٨٨هـ.
٧- أضواء البيان-الشنقيطي-دار عالم الكتب-بيروت-(بدون تاريخ الطباعة).
٨- الاعتصام- الشاطبي-دار المعرفة-بيروت-لبنان.

٩- الاعتقادات (وتسمى عقائد الصدوق)-ابن بابويه القمي-ط: إيران-١٣٢٠هـ.

١٠- أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام-ابن الخطيب-تحقيق بروفنسال-دار الكشوف- بيروت-١٩٥٦.

١١- الاقتصاد في الاعتقاد-الغزالي-تحقيق مصطفى أبو العلا-مكتبة الجندي-القاهرة-(بدون تاريخ الطباعة).

١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-الخلال-دراسة وتحقيق عبدالقادر عطا-دار الكتب العلمية-(بدون تاريخ الطباعة) .

١٣- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد-عبدالرحيم الخياط-دار الكتب المصرية-القاهرة-١٣٤٤هـ.

١٤- أيعيد التاريخ نفسه؟-محمد العبدة-أضواء البيان-الرياض-الطبعة الثالثة-١٤١٩هـ.

١٥- البداية والنهاية-ابن كثير-مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية-دار هجر-الجيزة-ط١-١٤١٩هـ.

١٦- تاريخ ابن خلدون-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط١-١٤١٣هـ

١٧- تأويل مختلف الحديث-ابن قتيبة-المكتب الإسلامي-بيروت-ط:١-١٤٠٩هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم-ابن كثير -مطبعة الشعب-القاهرة-(بدون تاريخ الطباعة).

١٩- تلبيس الجهمية- تصحيح محمد بن عبدالرحمن بن قاسم-١٣٩٢هـ.

٢٠- تهذيب تاريخ الخلفاء-السيوطي-تهذيب: نايف العباس-دار الألباب-دمشق-ط:١-١٩٩٠م.

٢١- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ-ابن الأثير-مكتبة الحلواني-١٣٩٢هـ.

٢٢- جامع الرسائل -ابن تيمية-دار المدني و دار الفكر-جدة-الطبعة الثانية-١٤٠٥هـ.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن -القرطبي-دار الكتب المصرية-ط:٢-١٣٧٢هـ.

٢٤- الحركة الإباضية في المشرق العربي-مهدي هاشم-دار الحكمة-ط:١-٢٠٠١م.

٢٥- درء تعارض العقل والنقل-ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-تحقيق محمد رشاد سالم-ط:١-١٤٠١هـ.

٢٦- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-أحمد جلي-مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-ط:١-١٤٠٦هـ.

٢٧- ذيل تاريخ دمشق-بن القلانسي-مطبعة الأباء اليسوعيين-بيروت-١٩٠٨م.

٢٨- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد-الدرامي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط:١٣٥٨هـ.

٢٩- الرسالة-الإمام الشافعي-تحقيق أحمد شاكر-دار الكتب المصرية-١٣٥٨هـ.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- محمود الألوسي- دار إحياء التراث العربي-بيروت- لبنان- ط :٤ - ١٤٠٥هـ

٣١- الروض الأنف-السهيلي- تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل- مطبعة أحمد شعبان- القاهرة - ١٣٨٧هـ.

٣٢- سنن ابن ماجه-دار إحياء التراث العربي-ترقيم شركة العالمية-(بدون تاريخ الطبع).

٣٣- سنن أبي داوود-المكتبة العصرية-بيروت-ترقيم العالمية-(بدون تاريخ الطبع).

٣٤- سنن الترمذي-دار الكتب العلمية-ترقيم شركة العالمية-(بدون تاريخ الطبع).

٣٥- سير أعلام النبلاء-الذهبي-مؤسسة الرسالة-بيروت-ط١-١٤٠٩هـ.

٣٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب-عبدالحي الحنبلي-دار ابن كثير-دمشق-بيروت-ط:١-١٤١١هـ.

٣٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة-اللالكائي-تحقيق أحمد الغامدي-دار طيبة-الرياض.

٣٨- شرح الأصول الخمسة-القاضي عبدالجبار-مكتبة وهبة-مصر-عابدين-ط:٢-١٤٠٨هـ.

٣٩- الشريعة-الآجري-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤٠٣هـ.

٤٠- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى- القاضي عياض-عيسى البابي الحلبي-القاهرة-١٩٧٧م.

٤١- صحيح البخاري-دار القلم-بيروت-١٩٨٧م-ترقيم شركة العالمية.

٤٢- صحيح مسلم-دار إحياء التراث العربي-١٩٥٤م-ترقيم شركة العالمية.

٤٣- العبر في خبر من عبر-الذهبي-دار الكتب العلمية-بيروت لبنان-الطبعة الأولى-١٤٠٥هـ.

٤٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود-أبوالطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي-مكتبة قرطبة-١٣٨٨.

٤٥- عيون التواريخ-محمد بن شاكر الكتبي-تحقيق فيصل السامر-بغداد-١٩٧٧م.

٤٦- الفتاوى الكبرى -ابن تيمية-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط:١-١٤٠٨هـ.

٤٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل-ابن حزم-مطبعة صبيح-القاهرة-١٩٦٤.

٤٨- الكامل في التاريخ-ابن الأثير-دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الخامسة-١٤٠٥هـ.

٤٩- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين-أبو شامة- دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ.

٥٠- كشف الظنون- حاجي خليفة- دار الفكر-(بدون تاريخ الطبع) .

٥١- الأسماء والصفات-البيهقي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط:١-١٤٠٥هـ.

٥٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-ط:٢-١٤٠١هـ-مكتبة المعارف-الرباط.

٥٣- المختصر في أصول الدين-القاضي عبدالجبار-ضمن رسائل العدل والتوحيد-تحقيق محمد عمارة-دار الشروق-القاهرة-ط:١-١٤٠٧هـ.

٥٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان- اليافعي-تحقيق عبدالله الجبوري-صدر منه الجزء الأول سنة ١٤٠٥هـ بدمشق.

٥٥- مروج الذهب - المسعودي-دار المعرفة-بيروت-لبنان-١٣٦٨هـ.

٥٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل-دار الفكر العربي-(بدون تاريخ الطبع).

٥٧- معارج القبول بشرح سلم الأصول- أحمد الحكمي-دار الكتب العلمية-بيروت-ط:١-١٤٠٣هـ

٥٨- مقالات الإسلاميين-الأشعري-تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد-مكتبة النهضة المصرية-ط:١-١٣٧٣هـ.

٥٩- مقدمة ابن خلدون-الدار التونسية للنشر-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-١٩٨٤م.

٦٠- المنار المنيف في الصحيح والضعيف-ابن القيم-مكتبة المطبوعات الإسلامية-حلب-الطبعة الثانية-١٤٠٣هـ.

٦١- مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي-عبدالمجيد تركي -دار الغرب الإسلامي-الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٦٢- منهاج السنة النبوية-ابن تيمية-تحقيق محمد رشاد سالم-جامعة الإمام محمد بن سعود-ط:١-١٤٠٦هـ.

٦٣- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار-المقريزي-دار صادر.

٦٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- ابن تغري بردي - القاهرة - ١٩٦٣م.

٦٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار- الشوكاني- دار الفكر- ١٩٩٤م.

٦٦- الوافي بالوفيات- صلاح الدّين الصفدي- دار إحياء التراث العربي- ١٩٧٠م.

٦٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان- دار الثقافة- بيروت - لبنان-١٩٧٢م.

* * *